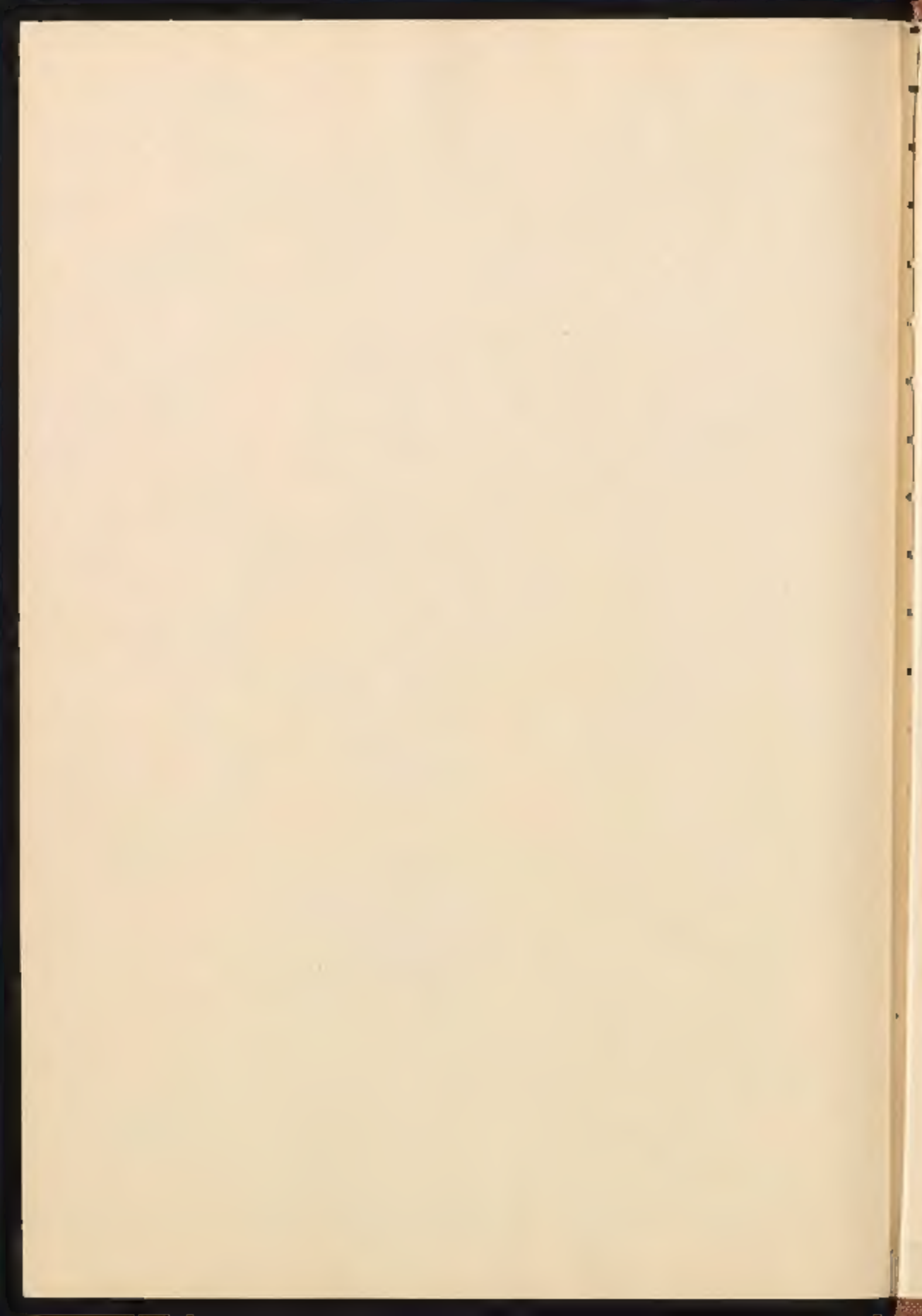


THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY







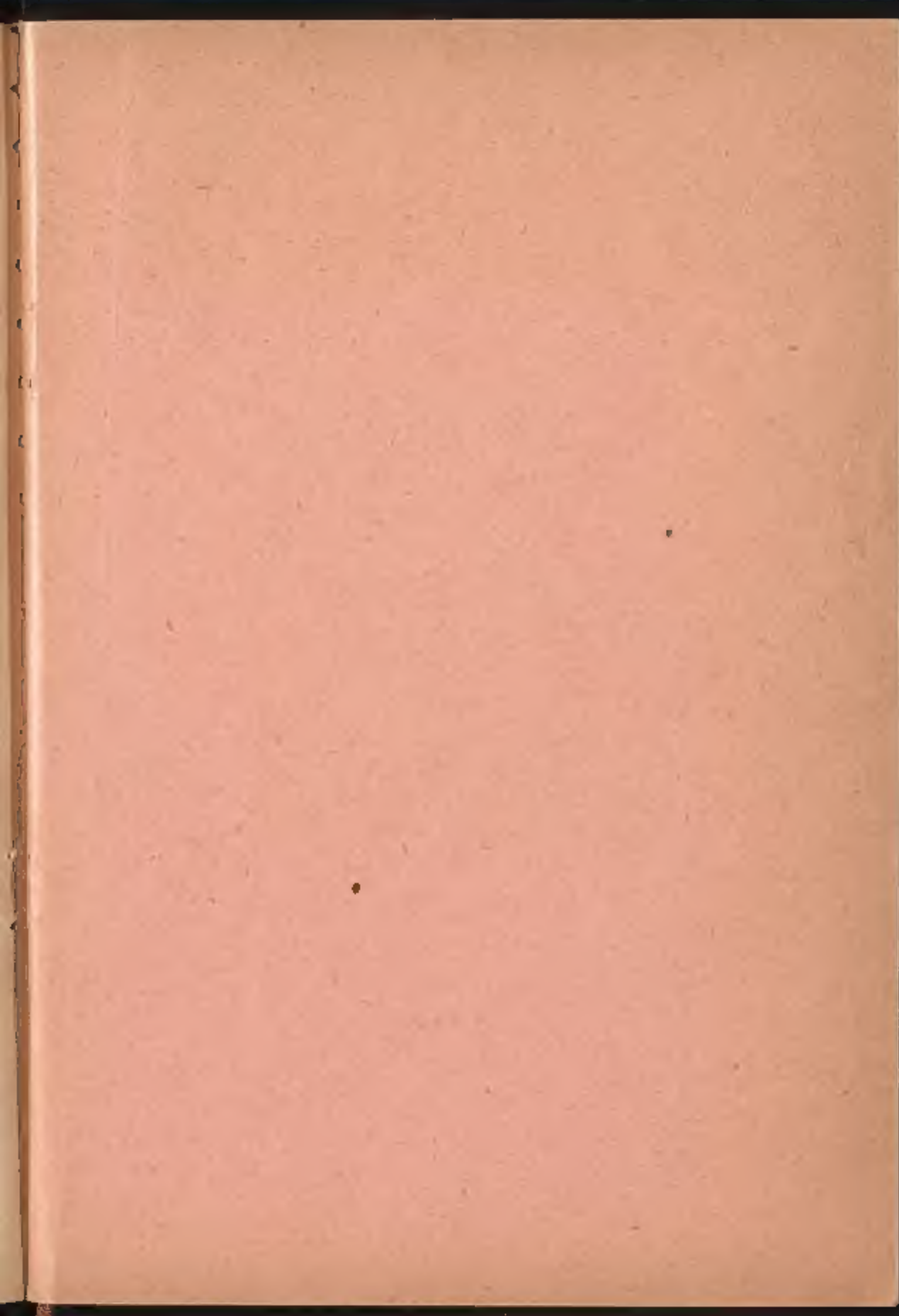
الفرقنا

بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان

تأليف

شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحكيم بن تيمية الحراني الدمشقي

منشورات المكتب الإسلامي بدمشق



الفُرُقَاتُ

بين
أولياء الرحمن وأولياء الشيطان

تأليف

شيخ الإسلام ابن تيمية

منشورات المكتبة الإسلامية بدمشق

893.7492

I-73

المكتب الإسلامي

للطباعة والنشر

لصاحبه

محمد زهير الشاوش

دمشق - الميزان

ص. ب. ٨٠٠ - هاتف: ١١٦٢٧ - بريدنا: (إسلامي)

٥١٢٨٢ - ١٩٦٢ م

30972 P

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمتنا

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ،
ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أقابعد : فهذا كتاب

التفرقات بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان

تقدمه للناس بعد أن تقدمت نسخته - رغم أنه قد طبع مرات متعددة -
ولم تعد متوفرة لمحي الحق .

وقد ألقه شيخ الإسلام - عليه رحمة الله - لما رأى من كثرة الادعاء
واضطراب الموازين عند كثير من الناس . قد ذكر فيه حقائق أولياء الله تعالى ،
وأقسامهم ، وتفاضلهم بحسب أعمالهم ، وأنه لا عصمة لهم ، بل العصمة للأنبياء
فقط فيما يتعلقون عن ربهم جل وعلا ، وليست للأولياء ، وأن خوارق العادات
ليست دليلاً على الولاية ، وأن الأنبياء أفضل من الأولياء . وبين بطلان قول
من يقول بأن من الأولياء من يفضل الأنبياء ، وأن النبوة لم تنقطع . ورد أقوال
الملاحدة في إنكار أصول الإيمان ، ومن يقول بالحلول والاتحاد .

هذا ، وقد ذكر رحمه الله أنظم القروق بين أولياء الرحمن وأتباع
الشیطان ، وبعض معجزات رسول الله ﷺ ، وكرامات بعض الأولياء من
الصحة والتابعين ، وبين أن مبنى الكرامات على الإيمان والتقوى ، لا على الجهل
والدعوى ، كما كشف الزيف عن بعض من لا يلتزم أحكام الشرع ، ويظهر
على يديه ما يظن أنه من الكرامات ، وأشار إلى أحوالهم الشيطانية ، وأساليبهم
الخبيثة التي تحفى على كثير من الناس ، وحذر الناس من أساليبهم الخداعة ،
ومظاهرهم المغرية كي يكوثروا على حذر منهم .

كل ذلك بأسلوب علمي سهل ، وأدلة واضحة ، وبراهين ساطعة لا تدع
جبالاً للريب والشك ، كما هي عادته رحمه الله تعالى في كل ما ألف وكتب .

ونحن نرى أن في اطلاع الناس على ما قدم هذا الإمام العظيم من أدلة
عامة شاملة ، وأقضية صحيحة واضحة ، يستطيعون أن يفرقوا بين أولياء الرحمن
دعاة الحق ، وبين أولياء الشيطان دعاة الباطل ، وإذا تولى قيم كثيرة نستعين
الله عليها ، والله غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

اللهم إنا نسألك أن تحببنا مزالق الشيطان ، وأن تجعلنا من عبادك الصالحين
المخلصين . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

دمشق ١ ذو الحجة ١٣٨٢ هـ

الموافق ٨ نيسان ١٩٦٣ م

ابو بكر
نهر خواهر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أحمد لله تسعينه ، ونستعديه ونستغفره ، وسوذن بالله من شرور
أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل
فلا هادي له ، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وشهد أن
محمداً عبده ورسوله ^(١) أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله
وكنى بالله شهيداً أرسله بين يدي الساعة نشرأ ونديراً ، وداعياً إلى
الله ما ذبه وسراجاً مبيراً ، هدى به من الضلالة ، وبصر به من العمى ،

(١) هذه الحطّة تعرف بحطّة الحاجة ، رواها عبد الله بن مسعود رضي الله
عنه ، قال : علّمنا رسول الله ﷺ العشاء في الحاجة : إن خدقته بحمده ،
ونستعينه ونستغفره ويقرأ ثلاث آيات .

وهي قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتوا
مسيئون أعمالكم) ١٠٢ و (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس
واحدة وخلق منها زوجها ثم مهنراً حلالاً كثيراً وساء واقف : الله الذي تسألون
به ولأرحم إن الله كان عليكم رقيباً ، اسأله / ١ و (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله
وقولوا له لا سديد ، يصلح لكم أعمالكم ويطهر لكم دينكم ومن نطع الله ورسوله
فقد فاز فوزاً عظيماً) الأحزاب / ٧٠ ، ٧١ .

وشيج لاسلام اس تبعية أكثر المصالح حراماً على الاثنان بها بين يدي
رسائله وكنهه ، وذلك دليل على حرصه على اتنام السنة وإحيائها ورحمة الله تعالى .

ورُشد به من النقي ، وفتح به أعينا عمياء ، وآدباً صمماً ، وقلوباً غصصاً ،
وفرق به بين الحق والباطل ، ولهدى والضلal ، والرشاد والغي ،
والمؤمن والكفار ، والسعد والحزن . ولأشقياء أهل النار ،
وبين أولياء الله وعداء الله . فمن شهد له محمد ﷺ بأنه من أولياء الله
فهو من أولياء الرحمن . ومن شهد له بأنه من أعداء الله فهو من أعداء
الله وأولياء الشيطان .

وقد بين سبحانه وتعالى في كتابه وسنة رسوله ﷺ أن الله
أولياء من الناس ، وللشيطان أولياء ، فعرف بين أولياء الرحمن وأولياء
الشيطان فقال تعالى : (لا إله إلا الله لا تحوفُ عليهم ولا هم يحزنون
لدين آموا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة
لا تبدل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم)^(١) وقال تعالى (الله
ولي الدين آموا يخرجهم من الظلمات إلى النور ولذين كفروا
أولياؤهم الطاغوت يخرجوهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب
النار هم فيها خالدون)^(٢) وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تتحدوا
اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتوكلهم منهم فإنه
ممنهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين فترى الذين في قلوبهم مرض

(١) سورة هود ، آيات : ٦٢ - ٦٤ .

(٢) سورة انفطار ، الآية : ٢٥٧ .

يسارعون فيهم يقولون نحشى أن نصيبها دائرة فمضى الله أن يأتي
بالفتح أو أمر من عنده فيصحبوا على ما سروا في أنفسهم نادى
ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم أنهم لمكم
حطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين يا أيها الذين آمنوا من يريد منكم
عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أدلة على المؤمنين ،
أعزة على الكافرين يحاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم
ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم إنا وليكم الله ورسوله
والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون .
ومن ينول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حرب الله م
العالمون^(١) وقال تعالى : (هالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا
وخير حقا)^(٢)

ودكر أولياء الشيطان فقال تعالى (فإذا قرأت القرآن فاستعذ
بالله من الشيطان الرجيم إله ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى
رسمهم يتوكلون . إنا سلطانا على الذين يتولونه والذين هم به مشركون)^(٣)
وقال تعالى : (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون
في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان

(١) سورة المائدة ، آيات ٥٦ - ٥٧ (٢) سورة البقرة ، الآية : ٤٤

(٣) سورة النحل ، الآيات : ٩٨ - ١٠٠ .

صمياً) ^(١) وقال تعالى : (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه فتخذه وذريته أولياء من دونه وهم لكم عدو ، فليس للظالمين بدلاً) ^(٢) . وقال تعالى : (ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً) ^(٣) . وقال تعالى : (القدير قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فأنزلنا بنعمة من الله وفصل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم إنا هدانا لغيركم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين) ^(٤) . وقال تعالى : (إنا حملنا الشياطين أولياءه لئلا يؤمنوا وإذ فعلوا وحشة قالوا وجدنا عليها آماناً) ^(٥) إلى قوله (إناهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون) ^(٦) وقال تعالى : (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليعادلوكم) ^(٧) وقال الخليل عليه السلام : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم) ^(٨) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم

(١) سورة النساء ، الآية : ٧٦ (٢) سورة الكهف ، الآية : ٥

(٣) سورة النساء ، الآية : ١١٩

(٤) سورة آل عمران ، الآيات : ١٧٥ - ١٧٨

(٥) سورة الأعراف ، الآيات : ٢٧ ، ٢٨ (٦) سورة الأعراف ، الآية : ٣٠

(٧) سورة الأنعام ، الآية : ١٢١ (٨) سورة مريم ، الآية : ٤٥

أولياء تاتقون إليهم بالودعة^(١) الآيات إلى قوله - (إنك أنت العزيز الحكيم)^(٢)

فصل

وإذا عرف أن الناس هم أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، فيجب أن يفرق بين هؤلاء وهؤلاء، كما فرق الله ورسوله بينهما، فأولياء الله هم المؤمنون المتقون، كما قال تعالى (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون)^(٣).

وفي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره من أني صريفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال - يقول الله تعالى من عادي لي ولياً فقد أذنته بالحرب - أو فقد آذنته بالحرب - وما تقرب إلي

(١) سورة الممتحنة، الآية ١٠، وتضمنها (٢) وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون رسول وإياكم، أن تؤمنوا ما أنتم إنا كنتم حرمين حرمي سبيلنا واشتاء مرضاتي تسرون إليهم بالودعة وأنا أعلم ما أحميم وما أعلم من عمله معكم فقد صد سواه اسبيل). (٢) سورة الممتحنة، الآية: ٥

(٣) سورة بولس، الآتان: ٦٤، ٦٥ (١) أعطاه المسارعة، لم رد في صحيح البخاري، وإياه هو من رواية الطبراني عن أبي أمامة، والحديث في البخاري، مروى في كتابه أرفق باب التواضع، وأعطاه: من عادي لي ولياً فقد آذنته بالحرب... وقد تكلم الحافظ ابن رجب الحنبلي على هذا الحديث في جامع العلوم والحكم، فليراجع.

عبيدي مثل أداء ما افترضت عليه ، ولا يزال عبيدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته ، كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، ^١ وأنا على كل شيء شفيء ، وأنا عليه ترددي من قبض نفس عبيد المؤمن ، بكرة الموت وأكره مساءته ولا بد له منه ، وهذا أصح حديث يروى في الأولياء ، فبين الذي ﷺ أنه من مادي ولياً الله فقد بارز الله في المحاربة

وفي حديث آخر ^٢ [وإني لأنازل أوليائي كما ينزل الميث للحرب ، أي : أحد تأرم من حادهم كما : أحد الميث الحرب ثأره ، وهذا لأن أولياء الله هم الذين آمنوا به وولوه ، فاحموا ما يحب ، وأنفصوا ما يبغض ، ورضوا بما يرضى ، وسخطوا بما يسخط ، وأصروا بما يأمر ، وسهوا عما سى ، وأعطوا ما من يحب أن يعطى ، ومنعوا ما من يحب أن يمنع ، كما في الترمذي وغيره عن النبي ﷺ أنه قال : « أوثق عرى الإيمان : الحب في الله والبغض في الله » ^٣ وفي حديث آخر رواه أبو داود وقال : « من أحب الله ، وأنقض الله ، وأعطي الله ، ومنع الله ، فقد استكمل » (١) حدث حسن أخرجه أحمد في « المسند » عن الزهراء واطهراني في « الكبير » عن ابن عباس وفي « الصغير » عن ابن مسعود .

الایمان^(١)

ولولاية صد العداوة، وأصل لولاية . لمحبة والقرب، وأصل
العداوة : البغض والبعـد . وقد قيل : إـد الولي صمي ولياً من موالائه
للطاعات، أي مناسنـه لها، ولأول أصح ولولي : القرب، يقال
هذا لي هدا، أي بقرب منه ومنه قوله ﷺ « ألحقوا العرائض
بأهلها فما أنفت العرائض فلا ولي رجل ذكر »^(٢) أي لا قرب رجل إلى
لميت وو كده سقط الذكر لئيب أنـه حكم بحصـن المذكور، ولا
يشارك فيه للذكور والإناث، كما قال في زكاه « فان لم يـد ذكر »^(٣).

هذا كان ولي الله هو المواقف المنافع له فيما يحبه ويرصاه، وبمضنه
ويسخطه، ويأمر به وينهى عنه، كان لما دي لوليه معادياً له، كما قال
نـالى . (لا تتحدوا عدوي وعدوكم ولياء تنقون إليهم بالموـدة)^(٤) فمن
صادى أولياء الله فقد عاداه، ومن عاداه فقد عاداه، وهذا قال : ومن
عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة .

(١) رواه أبو داود بسند حسن .

(٢) رواه البخاري ومسلم عن عـنـس . (٣) هذا اللفظ جاء في رواية
أبي دود عن أبي بكر ونصه : « فما دون خمس وعشرين من لائل وأنتم في
كل خمس دود شاء ، فاد ملقت خمساً وعشرين معها نت محاسن إلى أن سلغ حملاً
واللذين كان مـسكن بها نت محاسن فان لم يـد ذكر » . ورواه اسـانـي والبخاري
معناه . (٤) سورة المتـحـة ، الآية ١٠ .

وأفضل أولياء الله هم أنبيأؤه ، وأفضل أنبيائه هم المرسلون منهم ،
وأفضل المرسلين أولو العزم : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد
ﷺ قال تعالى : (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا
إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا
فيه)^(١) وقال تعالى : (وإد أخذنا من الدين ميثاقهم ومنك ومن نوح
 وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً ليسأل
الصادقين عن صدقاتهم وأعد للكافرين عذاباً أليماً)^(٢)

وأفضل أولي العزم : محمد ﷺ حاتم النبيين وإمام المنتفين ، وسيد
ولد آدم ، وإمام الأنبياء إذا احتتموا ، وحطيمهم إذا وفدوا ، صاحب
المقام المحمود الذي ينطه به الأولون والآخرون ، وصاحب لوا الحمد ،
وصاحب الخوص المورود ، وشفيع الخلائق يوم القيامة ، وصاحب
الوسيلة والفضيلة ، الذي يشه الله بأفضل كنيه ، وشرع له أفضل شرائع
دينه ، وجعل أئمة خير أمة أخرجت للناس ، وجمع له ولائته من
المفضائل والمحاسن ما فرقه بين قباهم ، وهم آخر الأمم حاقاً ، وأول
الأمم سناً ، كما قال ﷺ في الحديث الصحيح : « نحن الآخرون
السابقون يوم القيامة ، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ، وأوليناها

(١) سورة الشورى ، آية : ١٣ (٢) سورة الأحزاب ، الآيات ٧ ، ٨

من بعدهم ، فهذا يومهم الذي اختصوا فيه يعني يوم الجمعة — فهذا ما
الله له . الناس لنا نفع فيه ، غداً لليهود ، وبعد غد للنصارى ،^(١) .

وقال ﷺ : « أنا أول من تشق عنه الأرض »^(٢) وقال ﷺ :
« آتي باب الجنة فاستفتح ، فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول : أنا محمد .
فيقول : بك أمرت أن لا أقبح لأحد قبلك »^(٣)

ومضاه ﷺ وقصائل أمته كثيرة ، ومن حينئذ جعله
العارق بين أوليائه وبين أعدائه : فلا يكون ولياً لله إلا من آمن
به وبما جاء به ، واتبعه باطنياً وظاهراً ، ومن ادعى محبة الله وولايته
وهو لم يتبعه ، فليس من أولياء الله ، بل من حائفه كان من أعداء الله
وأولياء الشيطان قال تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم
الله)^(٤) قال الحسن البصري رحمه الله ادعى قوم أنهم يحبون الله ،
فأمر الله هذه الآية بمحنة لهم وقد بين الله فيها ، أن من اتبع الرسول
فإن الله يحبه ، ومن ادعى محبة الله ولم يتبع الرسول ﷺ ، فليس من
أولياء الله ؛ وإن كان كثير من الناس يظنون في أنفسهم ، أو في غيرهم ،
أنهم من أولياء الله ، ولا يكونون من أولياء الله ، فاليهود والنصارى
يذعنون أنهم أولياء الله [وأنه لا يدخل الجنة إلا من كان منهم ، بل يذعنون

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . (٢) رواه الترمذي

وأبو داود ، ومسلم وعصاه . (٣) رواه مسلم في صحيحه ، عن أنس .

(٤) سورة آل عمران ، الآية ٣١

أثم أباؤه] وأحباؤه قال تعالى (قل هم بعدكم بدوكم بل أنتم نشر
 ممن حق)^(١) الآية . وقال تعالى . (وقالوا لن يدخل الجنة إلا من
 كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم)^(٢) ، إلى قوله . (ولا هم
 يحزنون)^(٣)

وكان مشركو العرب يدعون أنهم أهل الله ، اسكنهم مكة ،
 ومجاورهم البيت ، وكانوا يستكبرون به على غيرهم . كما قال تعالى (قد
 كانت آياتي تنزل عليكم فكنتم على أعقابكم تكفرون مستكبرين به
 سامراً تهجرون)^(٤) وقال تعالى (وإذ يبحر لك الدين ككفروا
 ليثبتوك أو يقتلوك)^(٥) إلى قوله : (وهم يصدون عن المسجد الحرام
 وما كانوا أولياءه إن أولياءه إلا المتقون)^(٦) فيمن سبحانه أن المشركين
 ليسوا أولياءه ولا أولياء بيته ، إنما أولياءه المتقون

ونلت في « الصحيح » عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال
 سمعت رسول الله ﷺ يقول جهاراً من غير سر « إن فلان ليسوا
 لي بأولياء - يعني طائفة من أقاربه - إنما وليي الله وحال المؤمنين »^(٧)

(٥) سورة لقطة ، الآية : ١٨ (٢) سورة اسقرة ، الآية : ١١١

(٣) سورة اسقرة ، الآية - ١١٣ (٤) سورة المؤمنين ، الآيات . ٦٦ ، ٦٧

(٥) سورة لافان ، الآية . ٣٠ (٦) سورة لافان ، الآية ٣٤

(٧) أخرجه « البخاري » في كتاب « الادب » باب « ليس لرحم يلاها » ،

وأخرجه مسلم في « كتاب الإيمان » باب « موالات المؤمنين ومقاطعة غيرهم » عن
 عمرو بن العاص .

وهو موافق لقوله تعالى (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَضُرُّ الْمُؤْمِنِينَ) الآية (١) وصالح المؤمنين هو من كان صالحاً من المؤمنين، وهم المؤمنون لقول الله تعالى (وَدَخَلَ فِي ذَلِكَ يَوْمًا كَرًا، وَعَمْرًا، وَعَمَّا، وَعَلِي، وَسَائِرُ أَهْلِ بَيْتِهِ لِرَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، وَكَانُوا لَهَا وَأَرْسِيَّتَهَا، وَكُلُّهُمْ فِي الْحَمَةِ، كَمَا نَفَتْ فِي «الصَّحِيحِ» عَنْ الَّذِي عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ «لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِمَّنْ بَاعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ» (٢) ومثل هذا الحديث الآخر: «إِنْ أَوْلِيَانِي الْمُنْفِقُونَ أَيْتَانَا كَانُوا وَحَيْثُ كَانُوا» (٣).

كما أن من الكفار من يدعي أنه ولي الله، وليس ولياً لله، بل عدو له. فكذلك من المنافقين الذين يظهرون الإسلام، يقرون في الظاهر بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأنه مرسل إلى جميع الناس، بل إلى النفس النجسة والنفس والحق، وينقدون في الباطن ما يناقض ذلك؛ مثل أن لا يقروا في الباطن بأنه رسول الله، وإلما

(١) سورة الاحزاب، الآية ٤

(٢) أخرجه مسلم بإعط. ولا بد من إسناده إن شاء الله من أصحاب الشجرة. أحد - الذين بايعوا تحتها، وهو دود والترمذي عن حار.

(٣) روى الحاكم في المستدرج، مرفوعاً. «إِنْ أَوْلِيَانِي مِنْكُمْ يَتَّقُونَ»، وفي سنده إسماعيل بن عبيد وهو مجهول. ولعل. أما كانوا وحيث كانوا، إنما هو من كلام مجاهد.

كان ما كآ مطاعاً ، ساس الناس برأيه ، من جسد غيره من الملوك ، أو يقولون : إنه رسول الله إلى الأميين دون أهل الكتاب ، كما يقوله كثير من اليهود والنصارى ، أو أنه مرسل إلى عامة الخلق ، وأن الله أولياء خاصة ، لم يرسل إليهم ، ولا يحتاجون إليه ، بل لهم طريق إلى الله من غير جهته ، كما كان الخضر مع موسى ، أو أنهم يأخذون عن الله كل ما يحتاجون إليه وينفقون به من غير واسطة ، أو أنه مرسل بالشرع الطاهرة وهم موافقون له فيها وأما الحقائق العاصية هم يرسل بها ، أو لم يكن يعرفها ، أو لم يعرف بها منه ، أو يعرفونها مثل ما يعرفها من غير طريقته .

وقد يقول بعض هؤلاء : إن أهل الصفوة كانوا مستغنيين عنه ، ولم يرسل إليهم ، ومنهم من يقول : إن الله أوحى إلى أهل الصفوة في الباطن ما أوحى إليه ليلة المراج ، فصار أهل الصفوة بمنزلة ، وهؤلاء من فرط جهلهم ، لا يسمون أن الإسراء كان بمكة ، كما قال تعالى : (سبحان الذي أسرى بعهده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله)^(١) وأن الصفوة لم تكن إلا بالمدينة ، وكانت صفوة في شمالي مسجده ﷺ ينزل بها الرماة الذين ليس لهم أهل وأصحاب يزلون عندهم ، فإن المؤمنين كانوا بها حرون إلى النبي ﷺ إلى المدينة ،

من أمكنه أن ينزل في مكان رطب ؛ ومن نذر ذلك عليه نزل في المسجد ، إلى أن يتيسر له مكان ينقل إليه
ولم يكن أهل الصفة ساءاً بأعيانهم بلارمون الصفة ، بل كانوا يقاتون تارة ويكثرون أخرى ، ويقيم لرجلها زماناً ، ثم ينقل منها ، والذين ينزلون بها هم من حنف سائر المسلمين ، ليس لهم مزية في علم ولا دين ، بل فيهم من ارتد عن الإسلام وقوله النبي ﷺ ، كالعربيين الذين اجتروا المدينة ، أي : استوخوها ، فأصرم النبي ﷺ لبقاح - أي : إبل لها ابن - وأصرم أن يشربوا من أموالها وألبانها ، فلما صحوا ؛ قتلوا الراعي ، واستاقوا للدود ، فأرسل النبي ﷺ في طلبهم ، فأتى بهم ، فأمر بقطع أيديهم وأرجلهم ، وصمرت أعينهم ، وتركهم في الحرة ينسقون فلا يسقون

وحدثهم في « الصحيحين » ^(١) من حديث أنس ؛ وفيه أنهم

(١) أخرجه البخاري ، في « كتاب الحدود » ، لم يبق لمردود الماريون حتى ماتوا ، وبه : قدم رطل من عسل على النبي ﷺ كانوا في الصفة فاحتوا المدينة ، فقالوا : يا رسول الله ! « لنا رسلاً » ، فقال : « ما أحد لكم إلا أن تصحروا بأمر رسول الله » . فأتوها فشربوا من أموالها حتى سحرو وسماوا وقتلوا الراعي واستاقوا الدود ، أي : النبي ﷺ أصريج ، فبعت أظني في آخرهم ، فما زحل النهار حتى أتى بهم ، فأمر بمسامير فأحببت فكحلهم وقطع أيديهم وأرجلهم وماحسهم ، ثم أقوا في الحرة ينسقون لا يسقوا حتى ماتوا . احتوا واستوحوا « لنا رسلاً » : بكسر الراء وسكون السين أي : طلب لنا للدود : مفتاح

نزلوا الصفّة ، وكان ينزلها مثل هؤلاء ، ورلها من خيار المسلمين
سمعون أبي وقاص ، وهو أفضل من نزل بالصفّة ، ثم انقل عنها ،
ونزلها أبو هريرة وغيره ، وقد جمع أبو عبد الرحمن السلمي تاريخ من
نزل الصفّة

وأما لأنصارهم يذكروا من أهل الصفّة ، وكذلك أكبر
المهاجرين - كآبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وطائفة ، والزبير ،
وعبد الرحمن بن عوف ، وأبي عبيدة [بن الجراح] وغيرهم - لم يذكروا
من أهل الصفّة .

وقد روي أنه كان بها غلام للمغيرة بن شعبة ، وأن النبي ﷺ
قال : « هذا واحد من السمّة » وهذا الحديث كذب ، اتفاق أهل العلم ،
وإن كان قد رواه أبو يعين في « الحلية » ، وكذا كل حديث يروي عن
النبي ﷺ في عدة الأولياء ، والأبدال ، والمقام ، والنصاء ، والأوتاد ،
والأقطاب ، مثل أرسمة ، أو سمعة ، أو أنبي عشرة ، أو أربعين ، أو
سبعين ، أو ثلاثمائة ، أو ثلاثمائة وثلاثة عشر ، والقطب الواحد ، فليس

= القال - وكان لواد - ما بين الثلاثة إلى العشرة من الاصل . الصريح استغنى .
رحل النهار ارتفع . ما حسهم : ما كوى مواضع القطع . الحرة : أرس
دات حجارة سوداء .

في ذلك شيء صحيح عن النبي ﷺ ، ولم يطق السلف شيء من هذه
الأنفاذ إلا بالخط لا ببدل

وروي فيهم حديث أنهم أرمون رجلاً ؛ وأنهم بالشام ، وهو
في « اسند »^(١) من حديث علي كرم الله وجهه ، وهو حديث منقطع
ليس ثابت ، ومعلوم أن علياً ومن معه من أصحابه ، كانوا أفضل من
معاوية ومن معه بالشام ، فلا يكون أفضل الناس في عسكر معاوية
دون عسكر علي

وقد أخرجنا في « الصحيحين » عن أبي سعيد عن النبي ﷺ
أنه قال : « تفرق مارقة من الدين على حين فرقة من المسلمين يقتلهم
أولى الطائفتين بالحق » وهوؤلاء المارقون هم خوارج الحرورية الذين
صرخوا لما حصت الفرقة من المسلمين في خلافة علي ، فقتلهم علي بن
أبي طالب وأصحابه ، فدل هذا الحديث الصحيح على أن علي بن أبي
طالب أولى بالحق من معاوية وأصحابه ، وكيف يكون الأبدال في
أدنى العسكرين دون أهلها

(١) قال الشيخ أحمد في تعليقه على « المسند » : إسناده صحيح لا نقطاعه ،
شريح بن عبيد الحميري الحمصي لم يدرث علياً ، بل لم يدرث إلا بعض متأخري
لوقاة من الصحابة .

وكذلك ما يرويه بعضهم عن النبي ﷺ أنه أشد منشد :
 قد لسمت حية الهوى كبدي فلا طبيب لها ولا راق
 إلا الحبيب الذي شغفت به فمنده رقيبى وترباقى
 وأن النبي ﷺ تواجد حتى سقطت الباردة عن منكبه ، فإنه
 كذب باتفاق أهل العلم بالحديث ، وأكذب منه ما يرويه بعضهم أنه
 مزق ثوبه ، وأن جبريل أخذ قطعة منه ، فمقها على العرش ، فمذا
 وأمثاله مما يعرف أهل العلم والمعرفة رسول الله ﷺ أنه من أظهر
 الأحاديث كذباً عليه ﷺ

وكذلك ما يروونه عن عمر رضي الله عنه أنه قال : كان النبي
 ﷺ وأبو بكر يتحدثان ، وكنت بينهما كالزنجي ، وهو كدب موصوع
 باتفاق أهل العلم بالحديث .

والمقصود هنا : أنه فيمن بقر رساله العامة في الظاهر ومن ينقذ
 في الباطن ما يناقض ذلك ، فيكون منافقاً ، وهو يدعي في نفسه وأمثاله
 أنهم أولياء الله مع كفرهم في الباطن عما جاء به رسول الله ﷺ ، إما
 عناداً ، وإما جهلاً ، كما أن كثيراً من النصارى واليهود يستقذون أنهم
 أولياء الله . وأن محمداً رسول الله ، لكن يقولون : إنما أرسل إلى غير
 أهل الكتاب ، وإله لا يجب علينا اتباعه ، لأنه أرسل إلينا رسلاً قبله ؛

فهؤلاء كلهم كفار مع أنهم يستقذرون في طاعتهم أولياء الله ، وإنما أولياء الله الذين وصيهم الله تعالى بولايتهم بقوله : (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون)^(١)

ولا بد في الإيمان من أن يؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسوله ، واليوم الآخر ويؤمن بكل رسول أرسله الله ، وكل كتاب أنزل الله ، كما قال تعالى (فلو آما بالله وما أرسل البيا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والاساط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا هرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون . فان آمنوا مثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فاعام في شقاق فسيكفيكمهم الله وهو السميع العليم)^(٢) . وقال تعالى : (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله لا هرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير لا يكاف الله حساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن سبنا أو نخطئاً ناربنا ولا تحمل عينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا وربنا لا تحمينا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا ، نصربنا على القوم الكافرين)^(٣)

(١) سورة يونس ، الآيات ٦٢ ، ٦٣ (٢) سورة البقرة ، الآيات ١٣٦ ، ١٣٧

(٣) سورة البقرة ، الآيات : ٢٨٥ ، ٢٨٦

وقال في أول السورة (ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين .
الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون .
والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم
يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) (١) فلا
بد في الإيمان من أن تؤمن أن محمداً ﷺ خاتم النبيين ، لا نبي بعده (٢) ،
وأن الله أرسله إلى جميع النقيص الحن والاس هـ كل من لم يؤمن بما
جاء به فليس مؤمن ، فصلاً عن أن يكون من أولياء الله المتقين . ومن
آمن ببعض ما جاء به وكفر ببعض ، فهو كافر ليس بمؤمن ، كما قال الله
تعالى : (إن الذين يكفرون بالله ورسوله ويريدون أن يفرغوا بين الله
ورسوله ويقولون نؤمن ببعض وكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين
ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقا وأعدنا للكافرين عذاباً مهيناً .
والذين آمنوا بالله ورسوله ولم يفرغوا بين أحد منهم أولئك سوف
يؤتيهم أجورهم وكان الله غموراً رحيماً) (٣) .

ومن الإيمان : الإيمان بأنه هو الواسطة بين الله وبين خلقه في
تبليغ أمره ونهيه ، ووعدده ووعيدده ، وحلاله وحرامه ، فالحلال ما أحله

(١) سورة النقرة ، الآيات : ١-٥

(٢) وبذلك تعلم كفر القاديانية الذين يزعمون بأن أسوة لم تقطع بعد محمد

(٣) سورة النساء ، آيات : ١٥٠ - ١٥٢ .

الله ورسوله ، والحرام ما حرمه الله ورسوله ، والذين ما شرعه الله ورسوله ﷺ من اعتقد أن لا أحد من الأولياء طريقاً إلى الله من غير متابعة محمد ﷺ فهو كافر من أولياء الشيطان

وأما خلق الله تعالى للعنق ، وورقه إياهم ، وإحاشته لهم ، وهذا به لقبهم ، ونصرهم على أعدائهم ، وعبر ذلك من جلب المانع ودفع المضار ، فهذا لله وحده ، بعمله عما يشاء من الأسباب ، لا يدخل في مثل هذا وساطة الرسل .

ثم لو سمع الرجل في الزهد والعبادة والعلم ما سمع ، ولم يؤمن بجميع ما جاء به محمد ﷺ فليس مؤمن ، ولا ولي الله تعالى ، كالأخبار والرهبان من علماء اليهود والنصارى وعقائدهم وكذلك المنسبيين إلى العلم والعبادة من المشركين ، مشركي العرب والترك والهند ، وغيرهم ممن كان من حكماء الهند والترك ، وله علم أو زهد وعادة في دينه ، وليس مؤمناً بجميع ما جاء به محمد ، فهو كافر عدو لله ، وإن طن طائفة أنه ولي الله ؛ كما كان حكماء العرب من المحوس كعاراً محوساً ، وكذلك حكماء اليونان ، مثل أرسطو وأمثاله ، كانوا مشركين بعبادتهم الأصنام والكواكب ، وكان أرسطو قبل المسيح عليه السلام ثلاثمائة سنة ، وكان وريراً لاسكندر بن فيدس المقدوني ، وهو الذي يؤرخ

له تواريخ لروم واليونان ، وتؤرخ به اليهود والنصارى وليس هذا هو ذا القريب الذي ذكره الله في كتابه ؛ كما يظن بعض الناس أن أرسطو كان وزيراً الذي القريب لما رأوا أن ذلك اسمه الاسكندر ؛ وهذا قد يسمى بالاسكندر ، ظنوا أن هذا ذلك ، كما يظنه ابن سينا وطائفة معه

وليس الأمر كذلك ، بل هذا الاسكندر المشرک - الذي قد كان أرسطو وزيره - متأخر عن ذلك ، ولم يكن هذا السور ، ولا وصل إلى بلاد بآجوج وماجوج ، وهذا الاسكندر الذي كان أرسطو من وزرائه ؛ يؤرخ له تاريخ الروم المعروف

وفي أصناف المشرکين ، من مشرکي العرب ، ومشرکي الهند ، والنزك ، واليونان ، وغيرهم ، من له اجتهد في العلم والهدى والمباداة ، ولكن ليس يمنع للرسل ، ولا مؤمن بما جاؤوا به ، ولا يصدتهم فيما أخروا به ، ولا بطيئهم فيما أمروا ، فهو لا ليسوا بمؤمنين ، ولا أولياء الله ، وهو لا تقترن بهم الشياطين وتنزل عليهم ، فيكاشفون الناس بعض الأمور ، ولهم تصرفات خارقة من جنس السحر ، وهم جنس من الكهان والسحرة الذين تنزل عليهم الشياطين ، قال تعالى : (هل أبشركم على من تنزل الشياطين ، تنزل على كل قاطك أنبياء ، يلقون السمع

و"كثروهم كاذبون" (١)

وهؤلاء جميعهم يتسببون إلى المكاشفات وخوارق العادات إذا لم يكونوا متبئين للرسول ، فلا بد أن يكذبوا ونكذبهم شياطينهم ، ولا بد أن يكون في أعمالهم ما هو إثم وفحور ، مثل نوع من الشرك أو الظلم أو الفواحش أو العلل أو البدع في العبادة

ولهذا نزلت عليهم الشياطين وقرئت بهم ، فصاروا من أولياء الشيطان لا من أولياء الرحمن قال الله تعالى (ومن يضلل الله فليس له راد ولا شفيع) (٢) وذكر الرحمن هو للذكر الذي بعث به رسول الله ﷺ مثل القرآن ، فمن لم يؤمن بالقرآن ، ويصدق خبره ، ويعتقد وجوب أمره ، فقد أضره عنه ، فيقبض له الشيطان فيقترب به

قال تعالى : (وهذا ذكر مبارك أنزلناه) (٣) وقال تعالى (ومن أعرض عن ذكرى من له معيشة صكاً وحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرني أعمى وقد كنت بصيراً قال : كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) (٤) ، فدل ذلك على أن ذكره هو آياته

(١) - سورة الشعراء ، الآيات ٢٢١-٢٢٣ (٢) - سورة الزمر ، الآية ٣١
(٣) - سورة الأنبياء ، الآية ٥٠ (٤) - سورة طه ، الآيات ١٢٤-١٢٦
لهذا روى عنه عليه السلام

التي أربطها ، ولهذا لو ذكر الرجل الله سبحانه وتعالى دائماً ليلاً ونهاراً مع غاية الزهد ، وعنده عتهداً في عبادته ، ولم يكن متنبهاً لذكره الذي أنزله - وهو القرآن - كان من أولياء الشيطان ، ولو طار في الهواء أو مشى على الماء ، فإن الشيطان يحمله في الهواء ، وهذا مبسوط في غير هذا الموضع

فصل

ومن الناس من يكون فيه إيمان ، وفيه شعبة من عاق ، كما جاء في « الصحيحين » عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ أنه قال : « أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خصلة منهن ، كانت فيه خصلة من العاق حتى يدعها : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أحلف ، وإذا اتهم حان ، وإذا جاهد غدر »

وفي « الصحيحين » أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « الإيمان بضع وستون ، أو بضع وسبعون شعبة ، أعلاها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياة شعبة من الإيمان » فليس النبي ﷺ أن من كان فيه خصلة من هذه الخصال ففيه خصلة من العاق حتى يدعها .

وقد ثبت في « الصحيح » أنه قال لأبي ذر وهو من خيار المؤمنين : « إنك امرؤ فبك جاهلية » ، فقال يا رسول الله ! أعلی كبر سني ! قال : « نعم » .

ونبت في « الصحيح » عنه أنه قال « أربع في أمي من أمر الجاهلية : العهر في الاحساب ، والظمن في الاساب ، والنباحه على الميت ، والانسقاء بالجموم »^(١)

وفي « الصحيح » عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ ، أنه قال : « آية المنافق ثلاث . إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان » .

وفي « صحيح مسلم » « وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم » . وذكر البخاري عن ابن أبي مليكة أنه قال : أدركت ثلاثين من أصحاب محمد ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه وقد قال الله تعالى : (وما أصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين بافقوا وقيل لهم تعالوا فاقبلوا في سبيل الله أو ادعوا قالوا لو علم قذالاً لانبعثناكم للسكر يومئذ أقرب منهم للإيمان)^(٢) ، فقد حمل

(١) أخرجه مسلم في كتاب الحار عن أبي مالك الأشعري .

(٢) سورة آل عمران ، الآيات : ١٦٦ ، ١٦٧ .

هؤلاء إلى الكفر ، أقرب منهم للإيمان ، فعلم أنهم معطون ، وكفرهم أقوى ، وعيرهم يكون معطلاً وإيمانه أقوى

وإذا كانت أولياء الله هم المؤمنين المنتقين ، فبحسب إيمان العبد وتقواه تكون ولايته لله تعالى ، فمن كان أكمل إيماناً وتقوى ، كان أكمل ولاية لله ، فالناس متفاوتون في ولاية الله عز وجل ، بحسب تفاوتهم في الإيمان والتقوى ، وكذلك يتفاضلون في عداوة الله ، بحسب تفاوتهم في الكفر والعناق ، قال الله تعالى : (وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون)^(١) وقال تعالى (إنا النسي زيادة في الكفر)^(٢) وقال تعالى (ولذين اهتدوا زادهم هدى وآياتهم تقواهم)^(٣) وقال تعالى في المنافقين (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً)^(٤) وفي سبحانه وتعالى : أن الشخص الواحد ، قد يكون فيه قسط من ولاية الله ، بحسب إيمانه ، وقد يحكون فيه قسط من عداوة الله ، بحسب

(١) سورة التوبة ، الآيات ١٢٤ - ١٢٥ ،

(٢) سورة التوبة ، الآية ٣٧ (٣) سورة محمد ، الآية : ١٧

(٤) سورة النقرة ، الآية : ١٠

كفره ومهاقه . وقال تعالى : ويرداد الذين آمنوا إيماناً^(١) وقال تعالى
(ليرددوا إيماناً مع إيمانهم)^(٢)

فصل

وأولياء الله على طبقين : سابقون مقرءون ، وأصحاب يس
مقنصدون ذكرهم الله في عدة مواضع من كتابه العزيز ، في أول
سورة (الواقعة) وآخرها ، وفي سورة (الانسان) و (المطففين) ، وفي سورة
(طهر) ؛ فانه سبحانه وتعالى ذكر في (الواقعة) القيامة الكبرى في أولها ،
وذكر القيامة الصغرى في آخرها ؛ فقال في أولها : (إذا وفست الواقعة
ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة إذا رحلت الأرض رجاً ونست
الحال بساً) فكانت هذه أمثلاً وكنتم أرواجاً ثلاثة فأصحاب
الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشامة ما أصحاب المشامة .
والسابقون السابقون أولئك المقرءون . في جنات النعيم ثلة من
الأوليين وقبيل من الآخرين)^(٣)

فهذا تقسيم الناس إذا قامت القيامة الكبرى التي يجمع الله فيها
الأوليين والآخرين ، كما وصف الله سبحانه ذلك في كتابه في غير

(١) سورة المدثر ، الآية ٣١ - ٣٢ (٢) سورة الفتح ، الآية ٤

(٣) سورة الواقعة ، الآيت ١ - ١٤

موضع ، ثم قال تعالى في آخر السورة (فلولا) أي فهلاً (إذا بامت
الحقوم وأنهم حيثذا نظرون . ونحن أقرب إليه منكم ولكن
لا تبصرون فلولا ان كنتم غير مدين ترحمونها إن كنتم صادقين .
فأما إن كان من المفرئين فروح وربحان وجنة نعيم وأما إن كان
من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وأما إن كان من
المكدين الضالين فقل من هم وتعالى جحيم . إن هذا هو حق
اليقين . فسبح ربك العظيم) (١).

وقال تعالى في سورة الإنسان : (إنا هدينا السبيل إما شاكراً
وإما كفوراً إنا أعندنا لكافرين سلاسل وأغلالاً وسعيراً إن
الإنس كان من كآس كل مرآحها كافوراً عينا يشرب بها عباد
الله يفخرونها تفخيراً يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً .
ويطعمون الطعام على حبه مسكناً وبينياً وأسيراً إنا نطعمكم لوجه
الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً
قطرباً فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقد هم بضرة وسروراً وجزاهم
بما صبروا جنة وحريراً) (٢) الآيات .

وكذلك ذكر في سورة المطعنين فقال . (كلا إن كتاب

(١) سورة الواقعة ، آيات ٨٣ - ٩٦ (٢) سورة الدهر ، آيات ٣ - ١٢

المحار لفي صحين وما أدرك ما صحين كتاب مرقوم وبل يومئذ
المكذبين الذين يكذبون يوم الدين وما يكذب به إلا كل معند
أنهم إذا تنلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين كلا بل رن على قلوبهم
ما كانوا يكسبون كلا لهم عن ربهم يومئذ لمحجوعون ثم لهم امسوا
الحجيم ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون كلا إن كتاب الأولار
لفي عليين وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقرئون . إن
الأبرار لفي يمين على لأرائك مطرون تعرف في وحوهم بصرة
النعم يسقون من رحيق مختوم حنانه مسك وفي ذلك فيتنافس
المتنافسون . ومزاحه من تسديم عينا يشرب بها المقرئون ^(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما وعبره من السلف، قالوا : يمزج
لأصحاب اليمين مزجا ، ويشرب بها المقرئون صرفا ، وهو كما قالوا :
فأيه تعالى قال : (يشرب بها) ، ولم يقل يشرب منها ، لأنه حين قوله :
يشرب معنى يروي ، فإن الشارب قد يشرب ولا يروي ، فإذا قيل :
يشربون منها ، لم يدل على الري ، فإذا قيل يشربون بها ، كان المعنى يروون
بها ، فالمقرئون ، يروون بها فلا يحتاجون معها إلى ما دونه ، فهذا
يشربون منها صرفا ، بخلاف أصحاب اليمين فأبها مرجت لهم مزجا ،

(١) سورة المطففين ، الآيات : ١٨ - ٢٨ ،

وهو كما قال تعالى في سورة الانسان : (كان زاجراً كاهوراً) عبداً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجييراً ^(١)

فساد الله هم المقربون المذكورون في تلك السورة ، وهذا لأن الحزاء من حسن العمل في الخير والشر ، كما قال النبي ﷺ « من نفس عن مؤمن كربة من كرب لدنيا ، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على مصسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله به طريقاً إلى الجنة ، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله ، يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم ، إلا ربت عليهم السكينة ، وعشيتهم الرحمة ، وحفنتهم الملائكة ، وذكروا الله فيمن عنده ، ومن بطأنه عمله لم يسرع به نسبه » . رواه مسلم في « صحيحه » وقال ﷺ : « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » ^(٢) قال الترمذي : حديث صحيح .

وفي الحديث الآخر الصحيح الذي في « السنن » يقول الله

(١) سورة الدهر ، الآيات ٦٠ - ٦٥ .

(٢) رواه أحمد ، وأبو داود ، وإبراهيم ، وقال : حديث حسن صحيح

تعالى الرحمن ، حنقت الرحم ، وشققت لها اسما من اسمي ، فمن
وسلها وصله ، ومن قطعها نتته ^(١) . وقال : « ومن وصلها وصله الله ،
ومن قطعها قطعها الله » ^(٢) ، ومثل هذا كثير

وأولياء الله تعالى على معين : مقرون ، وأصحاب بين ، كما تقدم ،
وقد ذكر النبي ﷺ عمل القسمين في حديث الأولياء فقال : « يقول
الله تعالى : « من عادي لي وليا فقد أهدى الله به أمري بالبحار » . وما تقرب إلي عبدي
بمثل أداء ما افترضته عليه ، ولا يزال عدي تقرب إلي بأسوافل حتى أحبه ،
فاذا أحببته ، كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ويده
التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها » ^(٣)

والارار أصحاب البين هم المتقربون إليه بالعرائن ، يفعلون
ما أوجب الله عليهم ، ونتركون ما حرم الله عليهم ، ولا يكافون أنفسهم

(١) أخرجه أبو داود والترمذي عن عبد الرحمن بن عوف ، وقال : حسن
صحيح قال الحافظ لم يدرى : وفي تصحيح الترمذي له نظر ، فابن أبي سلمة
ابن عبد الرحمن لم يسمع من أبيه شيئا

(٢) رواه البخاري ومسلم بنحو « ارحم معلقة بالعرش يقول : من وصلني
وصله الله ، ومن قطعني قطعته » . (٣) رواه البخاري في « صحيحه »
وابن أبي عمير في معجمه ، وإما هو من رواية الطبراني عن أبي أسامة . وقد تقدم .

بالمندوبات ، ولا الكف عن فضول المباحات .

وأما السابقون المقربون فتقربوا إليه بالنوافل بعد الفرائض ،
فعملوا الواجبات والمستحبات ، وتركوا المحرمات ، والمكروهات ، فلما
تقربوا إليه بجميع ما بقدرت عليه من محوباتهم أحبهم لرب حياً تاماً ،
كما قال تعالى : « ولا يزال عدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه »^(١) ،
بمعنى الحب المطلق كقوله تعالى : (اهتدنا الصراط المستقيم . صراط الذين
أمننت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين)^(٢) أي أسم عليهم
الاسام المطلق التام المذكور في قوله تعالى : (ومن بطع الله والرسول
فأولئك مع الذين أسم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين وحسن أولئك رفيقاً)^(٣)

فهؤلاء المقربون صارت المباحات في حقهم طاعات بتقربون بها إلى الله
عز وجل ، فكانت أعمالهم كلها عبادات لله ، فشرعوا صرفاً ، كما عملوا له
صرفاً والمقتصدون كان في أعمالهم ما فعلوه لنفسهم ، فلا يصدقون عليه ،
ولا يتأون عليه ، فلم يشرعوا صرفاً ، بل مزج لهم من شراب المقربين
بحسب ما مزجوه في الدنيا

وظهر هذا انقسام الانبياء عليهم السلام إلى عبد رسول ، وبني

(١) حديث قدسي رواه البخاري في صحيحه ، عن أبي هريرة .

(٢) سورة الواقعة ، الآية ٦ ، ٧ (٣) سورة النساء ، الآية ٦٩

ملك ، وقد حير الله سبحانه محمداً ﷺ ، بين أن يكون عبداً رسولاً
وبين أن يكون نبياً ملكاً . « حُتِرَ أن يكون عبداً رسولاً ، فالنبى
الملك ، مثل داود وسليمان ونحوهما عليهما الصلاة والسلام ، قال الله تعالى
في قصة سليمان الذي قال (رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد
من عبادي) ملك من الوهاب فخر به الريح تجري بأمره رخاء
حيث أصاب . والشياطين كل باء وغواص وآخرين مقرين في
الأصفاة هذا عطاؤنا من أمرنا وأمسك خبر حساب)^(١) . أي : أعط
من شئت ، وأحرم من شئت ، لأحساب عليك ، فالنبى الملك ، يفعل
ما فرض الله عليه ، ويترك ما حرم الله عليه ، وينصرف في لولاية ولإل
بما يحبه ويختار ، من غير إثم عليه

وأما العبد الرسول ، فلا يعطي أحداً إلا بأمر ربه ، ولا يعطي من
يشاء ، ويحرم من يشاء ، بل يعطي من أمره ربه بأعطائه ، ويولي من
أمره ربه بتوليته ، وأعماله كلها عبادات لله تعالى ، كما في « صحيح البخاري »
عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « إني والله لا أعطي
أحداً ، ولا أسمع أحداً ، إنما أنا قاسم أصع حيث أمرت »^(٢) ولهذا يضيف
الله الأموال الشرعية إلى الله والرسول ، كقوله تعالى (قل الأموال

(١) سورة من ، الآت : ٣٥ - ٣٩ (٢) رواه البخاري لمعظ : ما

أعطيتكم ولا أسمعكم ، أنا قاسم ، أصع حيث أمرت .

لله والرسول) ^(١) وقوله تعالى : (ما آفاه الله على رسوله من أهل القرى قلله والرسول) ^(٢) وقوله تعالى : (واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسة وللرسول) ^(٣)

ولهذا كان أظهر أقوال العلماء ، أن هذه الأموال تصرف فيما يحبه الله ورسوله بحسب اجتهاد ولي الأمر ، كما هو مذهب مالك وغيره من السلف ، ويذكر هذا رواية عن أحمد ، وقد قيل في الخمس : إنه يقسم على خمسة ، كقول الشافعي ، وأحمد في المروء عنه ، وقيل : على ثلاثة ، كقول أبي حنيفة رحمه الله

والمقصود هنا ، أن المبدأ الرسول ، هو أفضل من النبي الملك ، كما أن إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام ، أفضل من يوسف ، وداود ، وسليمان عليهم السلام ، كما أن المقربين السابقين ، أفضل من الأبرار أصحاب اليمين ، الذين ليسوا مقربين سابقين ، فمن أدى ما أوجب الله عليه ، وفعل من المباحات ما يحبه ، فهو من هؤلاء ، ومن كان إغما بفعل ما يحبه الله ويرضاه ، ويقصد أن يستعين بما أبيع له على ما أمره الله ، فهو من أولئك .

(١) سورة الأنفال ، الآية ١ (٢) سورة الحشر ، الآية ٧

(٣) سورة الأنفال ، الآية ٤٦ .

فصل

وقد ذكر الله تعالى أوليائه المقتصدين والسابقين في سورة (فاطر)، في قوله تعالى: (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير) جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها حوب^(١) لكن هذه الأوصاف الثلاثة في هذه الآية، هم أمة محمد ﷺ خاصة، كما قال تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله، ذلك هو الفضل الكبير)^(٢)

وأمة محمد ﷺ، هم الذين أورثوا الكتاب بعد الأمم المتقدمة، وليس ذلك مختصاً بحفاظ القرآن، بل كل من آمن بالقرآن فهو من هؤلاء، وقسمهم إلى ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق، بخلاف الآيات التي في (الواقعة)^(٣) و(المطففين) و(الاعطار) فإنه دخل فيها جميع الأمم

(١) سورة فاطر، آيات: ٣٢ - ٣٥

(٢) والآيات في سورة الواقعة ٥ (وكنتم أرواحاً ثلاثة . فاصحاب اليمين ما اصحاب اليمين . واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة . واساقون السابقون) =

المتقدمة ، كاهرم ومؤمنهم ، وهذا القسم لأمة محمد ﷺ ، فالظام
لعمه . أصحاب الذنوب المصرون عليها والمقصد : المؤدي للعرائض ،
المجنب للمحارم والسائق للخيرات : هو المؤدي للعرائض والوافل ،
كما في تلك الآيات ومن تاب من ذبه ، أي ذب كان ، توبة صحيحة ،
لم يخرج بذلك عن السائقين والمقصدين ، كما في قوله تعالى : (وسارعوا
إلى مغفرة من ربكم وجة عرشها السماوات والأرض أعدت للمتقين .
الذين ينفقون في السراء والعراء والكاطمين العيظ والماعين من
الناس والله يحب المحسنين والذين إذا فعلوا فحشة أو ظموا أنفسهم
ذكروا الله فاستغفروا لقنوسهم ومن يعمر الذنوب إلا الله ولم يصروا
على ما فعلوا ولم يعملون . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات
تجري من تحنها الأنهار خالدون فيها وهم أجور الماملين) .

وقوله : (جنات عدن يدخلونها)^(١) مما يستدل به أهل السنة ،

والآيات في سورة الأنعام : (إن الأبرار في سم وإن العاصين في حميم) .
وفي سورة المطفين : (يوم يقوم الناس لرب المالمين . كلا إن كتاب الفصاري
سجين) إلى قوله تعالى : (كلا إن كتاب الأبرار في عليين) .

(١) في سورة آل عمران ، الآيات : ١٣٣ - ١٣٦ .

(٢) سورة الرعد ، الآية : ٢٣ .

على أنه لا يدخل في النار أحد من أهل التوحيد
وأما دخول كثير من أهل الكبار النار ، فهذا مما تواترت به
السنة من النبي ﷺ ، كما تواترت بخروجهم من النار ، وشفاعة بيبي
محمد ﷺ في أهل الكبار ، وإخراج من يخرج من النار بشفاعة بيبي
ﷺ ، وشفاعة غيره ؛ من قال : إن أهل الكبار محملون في النار ،
وتأول الآية على أن السابقين ، هم الذين يدخلونها ، وأن المقصد أو
الظالم لنفسه لا يدخلها ، كما تأوله [من تأوله] من المعتزلة ، فهو مقابل
تأويل المرجئة ، الذين لا يقصعون بدخول أحد من أهل الكبار النار ،
ويزعمون أن أهل الكبار قد يدخل جميعهم الجنة من غير عذاب ،
وكلاهما مخالف للسنة المتواترة عن النبي ﷺ ، ولا جماع سلف الأمة
وأئمتها .

وقد دل على فساد قول الطائفتين قول الله تعالى في آيتين من
كتابه ، وهو قوله تعالى (إن الله لا يفرق بين أن يشرك به ويعمر ما دون
ذلك لمن يشاء)^(١) فأخبر تعالى أنه لا يفرق الشرك ، وأحضر أنه يفرق
مادونه لمن يشاء ، ولا يجوز أن يراد بذلك الثابت ، كما يقوله من يقوله
من المعتزلة ، لأن الشرك يفرقه الله لمن تاب ، وما دون الشرك ، يعمره
الله أيضاً للثابت ، فلا تعلق بالمشيئة ، ولهذا لما ذكر المعفرة للثابتين ؛

قال تعالى (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقطعوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم)^(١)، فمنها عظم المعصية وأطلقها، فإن الله يغفر للمعصية أي ذنب تائب منه، ومن تاب من الشرك غفر الله له، ومن تاب من الكسائر غفر الله له، وأي ذنب تاب العبد منه غفر الله له

وفي آية التوبة^(٢)؛ عظم وأطلق، وفي تلك الآية^(٣) خصص وعلق، بالخصيص الشرك بأنه لا يغفره، وعلق ما سواه على المشيئة، ومن الشرك المنعطف إلى الحالتين، وهذا يدل على فساد قول من يحزم بالمعصية لكل معصية، وبه بالشرك على ما هو أعظم منه، كمنعطف الخالق، أو غير ذلك لا يمدد بذنب، فإنه لو كان كذلك، لما ذكر أنه يغفر للبعض دون البعض، ولو كان كل ظالم لنفسه متهوراً له، فلا توبة ولا حسنات نتاجية، إلا بالخلق ذلك بالمشيئة

سورة التوبة^(٤) تعالى: (وبمصر ما دون ذلك لمن يشاء)^(٥) دليل على أنه يغفر للبعض دون البعض، وبطل الذي وافق العام.

ما يقين به عامق لا

١ (٢) سورة التوبة، والآية: ٣٠

(٢) المراد آية التوبة الواردة في سورة الزمر (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقطعوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً) (إن الله لا يغير أن بشر) (إن الله لا يغير أن بشر) (إن الله لا يغير أن بشر)

(٣) سورة النساء، الآية: ٤٨

(٤) سورة التوبة، الآية: ٣٠

فصل

وإذا كانت أولياء الله عز وجل ، هم المؤمنون المتقين ، والناس
بمفاضلون في الإيمان والتقوى ، فهم متفاضلون في ولاية الله بحسب
ذلك ، كما أنهم لما كانوا متفاضلين في الكفر والعاق ، كانوا متفاضلين
في عداوة الله بحسب ذلك

وأصل الإيمان والتقوى : الإيمان برسل الله ، وجماع ذلك :
الإيمان بخاتم الرسل محمد ﷺ ؛ فالإيمان به ينصمّن الإيمان بجميع
كتب الله ورسوله وأصل الكفر والعاق ، هو الكفر بالرسل ، وبما
حاووا به ، فإن هذا هو الكفر الذي يستحق صاحبه العذاب في الآخرة ،
فإن الله تعالى أحقر في كتابه ، أنه لا يهذب أحداً إلا بعد بلوغ الرسالة
قال الله تعالى . (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً)^(١) وقال تعالى .
(إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا
إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى
وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً . ورسلاً
قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله
موسى تكليماً رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله

حجة بعد الرسل (١) وقال تعالى عن أهل النار (كلما أتني منها فوج
سألهم عنها حرثها لم يأتكم دير قالوا بلى قد حاربنا دير فكذبنا وقتلنا مارل
الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير) (٢) فأحذر أنه كلما أتني في
النار فوج أفرو نأثم حاربنا دير فكذبوا ، فدل ذلك على أنه لا يلقى
فيها فوج إلا من كذب الدبر وقال تعالى في حصة لا ييسر لأهل النار
حربهم ملك ويمن ملك منهم أحمر (٣) فأحذر أنه يناوئها بأطلس ومن
سعة ، فإذا مات منهم لم يدحها غيرهم فعلم أنه لا يدخل النار إلا من
سع الشيطان ، وهذا يدل على أنه لا يدخلها من لا دس له ، فإنه ممن
لم تسع الشيطان ولم تكن مدأ ، وما تقدم يدل على أنه لا يدخلها إلا من
قامت عليه الحجة بالرسل

فصل

ومن الناس من يؤمن بالرسل إيماناً عاماً [محملاً] ، وأما الإيمان
المفصل ، فيكون قد بلغه كثير مما حات به الرسل ولم يبلغه بعض ذلك ،
فيؤمن بما بلغه عن الرسل ، وما لم يبلغه لم يعرفه ، ولو بلغه لا آمن به ،
ولكن آمن بما حات به الرسل إيماناً محملاً ، فهذا إذا عمل بما علم أن الله

(١) سورة القصص ، آيات ١٦٣ - ١٦٥

(٢) سورة البقرة ، الآيات ٩٠ - ٩١ (٣) سورة ص ، الآية ٨٥

أمره به مع إيمانه وتقواه ، فهو من أولياء الله تعالى ، له من ولائه الله بحسب إيمانه وتقواه ، ولم تقم عليه الحجة به ، فإن الله تعالى لم يكلمه معرفته ، ولا إيمان المفصل به ، فلا تعديه على تركه ، لكن بعونه من كمال ولاية الله بحسب ماله من ذلك ، من عرنا حقه به الرسول ، وآمن به إيماناً مفصلاً ، وعمن به ، فهو أكمل إيماناً وولاية الله بمن لم يمر ذلك مفصلاً ، ولم يعمل به ، وكلاهما ولي الله تعالى ، والحجة درجات متعاضدة تفاضلاً عطياً ، وأولياء الله المؤمنون يتقون في تلك الدرجات بحسب إيمانهم وتقواهم . قال الله تبارك وتعالى (من كان يريد المصلحة عطيها له فيما مآشأه من ربه ثم حطاله حيم بصلاها مسموئاً مدحوراً ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً) كلاً عند هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربه وما كان عطاء ربه محظوراً انظر كيف فضلنا مصهم على سائر والآخرة أكرم درجات وأكبر تفضيلاً^(١) .

فبين الله سبحانه وتعالى ، أنه يمد من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة من عطائه ، وإن عطاءه ما كان محظوراً من ربه ولا حراً ، ثم قال تعالى : (انظر كيف فضلنا مصهم على سائر والآخرة أكرم درجات وأكبر تفضيلاً)^(٢) ؛ فبين الله سبحانه ، أن أهل الآخرة

(١) سورة الاسراء ، آيات ١٨ - ٢١ (٢) سورة الاسراء ، الآية ٢١

يتفاضلون فيها أكثر مما يتفاضل الناس في الدنيا ، وأن درجاتها أكبر من درجات الدنيا ، وقد بين تفاضل أنبيائه عليهم السلام كتفاضل سائر عباد المؤمنين ، فقال تعالى : (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس)^(١) وقال تعالى : (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبوراً)^(٢)

وفي « صحيح مسلم » عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير ، احرص على ما بقعت ، واستعن بالله ، ولا تعجز ، وإن أصابك شيء ، فلا تقل لو أني فعلت لكان كذا وكذا ؛ ولكن قل قدر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان » .

وفي « الصحيحين » عن أبي هريرة ، وعمر بن العاص رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر » . وقد قال الله تعالى : (لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد ، وقاتلوا وكلاً وعد الله الحسنى)^(٣) وقال تعالى : (لا يستوي القاعدون

(١) سورة العنكبوت ، الآية : ٢٥٣

(٢) سورة الاسراء ، الآية : ٥٥ (٣) سورة الحديد ، الآية : ١٠

مر المؤمنين غير أولي الصر والمجاهدون في سبيل الله بأمور لهم وأنفسهم
فصل الله المجاهدين بأمور لهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد
الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً درجات
منه ومنفرة ورحمة وكان الله غفوراً رحيماً^(١) وقال تعالى (أجعلتم
سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر
وساهد في سبيل الله لا يستونون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين.
الذين آمنوا وهاجروا وساهدوا في سبيل الله بأمور لهم وأنفسهم أعظم
درجة عند الله وأولئك هم الفاعلون بشرهم رحمة منه ورضوان
وجنات لهم فيها نعيم مقيم حاللون فيها إذا أنشأ الله عنه أمر عظيم)^(٢)
وقال تعالى : (أمن هو قامت آناه الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة
ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنا
نذكر أولو الألباب)^(٣)؛ وقال تعالى (يرفع الله الذين آمنوا منكم
والذين أتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير)^(٤).

(١) سورة النساء ، الآيات ٩٥ ، ٩٦ .

(٢) سورة التوبة ، الآيات ١٩ - ٢٢ (٣) سورة الزمر ، الآية : ٩

(٤) سورة الحديد ، الآية : ١١

فصل

وإذ كان السعد لا يكون ولياً لله إلا إذا كان مؤمناً تقياً، لقوله تعالى (لا إله إلا الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون)^(١).

وفي « صحيح البخاري » الحديث المشهور ، وقد تقدم يقول الله سارك ومالي فيه « ولا يرال عدي تقرب إلى بالوافل حتى أحبه » ولا يكون مؤمناً تقياً حتى تقرب إلى الله بالاعرائص ، فيكون من الأتراء أهل اليمين ، ثم بعد ذلك لا يرال بتقرب بالوافل ، حتى يكون من السابقين المقربين ، ثم بعد ذلك لا يرال تقرب بالوافل ، حتى يكون ولياً لله ، وكذلك من لا يسمع إيمانه وعباداته وإن قدر أنه لا إثم عليه مثل أطفال الكفار ، ومن لم تسمه لدعوة ، وإن قبل ، إثمهم لا يعذبون حتى يرسل إليهم ، فلا يذكرون من أولياء الله ، إلا إذا كانوا من المؤمنين المتقين ، فمن [لم] تقرب إلى الله لا يفعل الحسنات ولا يترك السيئات ، لم يكن من أولياء الله ؛ وكذلك المخابين والأطفال ، فإن النبي ﷺ قال « رفع لقم عن ثلاثة عن المجنون حتى يفيق ، وعن الصبي

حتى يحتمل ، وعن النائم حتى يستيقظ ^(١) .

وهذا الحديث قد رواه أهل السير من حديث علي وعائشه رضي الله عنهما ، وتفق أهل المعرفة على تلقيه بأقوال الصكن الصبي للمر تصح عبادته وثبت عنهما عند جمهور العلماء ، وما محنون لذي رفع عنه انقلم ، فلا يصح نسي من عبادته بامكان المما ، ولا يصح منه إيمان ولا كفر ولا صلاة ولا غير ذلك من العبادات ، بل لا يصلح هو عبد عامة المقلد لأمر له بما كالتجارة والصناعة ، فلا يصح أن يكون رباً ولا عقداً ولا حاداً ولا محاراً ، ولا يصح عقوده بامكان المما ، فلا يصح منه ولا شراؤه ولا كاحه ولا صلاته ولا إقراره ولا شهادته ، ولا غير ذلك من قوله ، بل أقوله كام أم لا سيق بها حكم شرعي ، ولا ثواب ولا عقاب ، بخلاف الصبي المبرور له قوله لا مسيرة في وضع بالخص ولا جمع ، وفي موضع فيها ر ع

وإد كان المحنون لا يصح منه إيمان ولا التقوى ، ولا القرب إلى الله بالعرفان والوفا ، ومنع أن يكون ولياً لله ، ولا يجوز لأحد أن يعتقد أنه ولي لله ، لا سيما أن يكون حجه على ذلك ، إنما مكاشفة ممها منه ، أو نوع من تصرف ، مثل أن يره قد شار إلى واحد ، فثبات

(١) رواه أحمد في مسنده ، أنه داود والحكم وقال الحافظ بن حجر
 بعد ما أورده طرق عديدة بأعاط متقاربة ، هذه طرق يعوي بعضها أصلاً
 وصححه أحمد شاكر في « السند » .

أو صرع ، فإنه قد علم أن الكفار والمناقين من المشركين وأهل الكتاب ، لهم مكاشفات ونصرفات شيطانية ، كالكمائن والسحرة وعباد المشركين ، وأهل الكتاب ، فلا يجوز لأحد أن يستدل بمجرد ذلك على كون الشخص ولياً لله ، وإن لم يعلم منه ما يناقض ولاية الله ، فكيف إذا علم منه ما يناقض ولاية الله ، مثل أن يعلم أنه لا يمتدح وجوب اتباع النبي ﷺ باطناً وظاهراً ، بل يمتدح أنه يتبع الشرع الظاهر دون الحقيقة الباطنة ، أو يمتدح أن لأولياء الله طريقاً إلى الله غير طريق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، أو يقول : إن الأنبياء ضلّوا الطريق ، أو هم قدوة على العامة ، دون الخاصة ، وبحود ذلك مما يقوله بعض من يدمي الولاية ، فهو لا فيهم من الكفر ما يناقض الإيمان ، فضلاً عن ولاية الله عز وجل ، فمن احتج بما يصدر عن أحد من خرق عادة على ولايتهم ، كان أصل من اليهود والنصارى .

وكذلك المجنون ، فإن كونه مجنوناً ، يناقض أن يصح منه الإيمان والعبادات التي هي شرط في ولاية الله ، ومن كان يحن أحباً ويبقى أحباً ، إذا كانت في حال إفاقته مؤمناً بالله ورسوله ، ويؤدي الفرائض ، ويحفظ المحارم ، فهذا إذا جن ، لم يكن حنونه مانعاً من أن يثيبه الله على إيمانه وتقواه الذي آتى به في حال إفاقته ، ويكون له من ولاية الله بحسب ذلك ، وكذلك من طرأ عليه الجنون بعد إيمانه

وتقواه ، فان الله يثيبه وبأجره على ما تقدم من إيمانه وتقواه ، ولا يحبطه بالحنون الذي انتلي به من غير دس فعله ، والقلم صرّوع عنه في حال جنونه .

فلي هذا فن ظهر لولاية وهو لا يؤدي الفرائض ، ولا يجتنب المحارم بل قد يأتي عما يقضى ذلك ، لم يكن لأحد أن يقول : هذا ولي الله ، فان هذا ان لم يكن ممنوناً ، بل كان ممنولاً من غير جنون ، أو كان يغيب عقله بالحنون نارة ويفيق أخرى ، وهو لا يقوم بالفرائض ، بل يعتقد أنه لا يجب عليه اتباع الرسول ﷺ ، فهو كافر وإن كان بمنزلة ما طمأ وظاهر أقد ارتفع عنه القلم ، فهذا وإن لم يكن معاقاً عقوبة الكافرين ، فليس هو مستحقاً لما يستحقه أهل الإيمان والتقوى من كرامة الله عز وجل ، فلا يجوز على التقديرين أن يستقد فيه أحد أنه ولي الله ، ولكن إن كان له حاة في إفاقته ، كان فيها مؤمناً بالله متقياً ؛ كان له من ولاية الله بحسب ذلك ، وإن كان له حال إفاقته فيه ككفر أو عاق ، أو كان كافراً أو منافقاً ، ثم طرأ عليه الحنون ، فهذا فيه من الكفر والفاق ما يعاقب عليه ، وجنونه لا يحبط عنه ما يحصل منه حال إفاقته من كفر أو فاق .

فصل

وليس بالأولياء الله شيء يميزون به عن الناس في الظاهر من
الأمور المباحات ، فلا يميزون بالناس دون الناس إذا كان كلاهما مباحا ،
ولا يخلق شمر أو تقصيره أو طهره ، إذا كان مباحا ، كما قيل : كم من
صديق في فناء ، وكم من رديق في عناء . بل يوجد في جميع أصناف
أمة محمد ﷺ إذا لم يحكوا من أهل البدع الظاهرة والباطنة ،
فيوجدون في أهل القرآن وأهل العلم ، ويوجدون في أهل الجهاد
والسيف ، ويوجدون في النخار والصناع والزراعة .

وقد ذكر الله أصناف أمة محمد ﷺ في قوله تعالى (إن ربك
يعلم أنك تقوم أدنى من نبي الليل وحسبه والله مطلع على ما
فعلتم) والله يقدر الليل والنهار علم أن الله محصور فناء عبيد فافروا
ما تبسر من القرآن علم أن سبكون مسك مصرى وآخرون يصرون
في الأرض ينتفون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله
فافروا ما تبسر منه (١)

وكان السبع يسمون أهل الدين والعلم (القرآن) فيدخل
فيهم العلماء والدُّعَاة ، ثم حدث بعد ذلك اسم الصوفية والفقراء .

واسم الصوفية هو نسبة إلى لباس الصوف ، هذا هو الصحيح
وقد قيل إنه نسبة إلى صموة العقبا . وقيل : إلى صوفة [بن
مرا] بن أد بن طابخة ، قبيلة من العرب ، كانوا يعرفون بالسك ، وقيل :
إلى أهل الصفة وقيل إلى [أهر] السماء . وقيل إلى الصموة .
وقيل إلى الصب المقدم من بدي الله تعالى ؛ وهذه أقوال صيغفة ،
فإنه لو كان كذلك ل قيل ، صبي ، أو صفاني ، أو صفوي أو صمي^(١) ،
ولم قل . صوفي ، وصار اسم الفقراء ، أمي به أهل السلوك ، وهذا
عرف حادث ، وقد سارع الناس : أيها الفصل ، مسمى الصوفي ، أو
مسمى الفقير ؟ وتنازعون بصاً أنها فعل ، المي الشاكر ، أو الفقير
الصابر ؟

وهذه المسألة فيها نزاع قديم ، بين الحنيد وبين أبي العباس بن
عطاء ، وقد روي عن أحمد بن حنبل فيها روايتان ، والصواب في هذا
كله ما قاله الله تبارك وتعالى ، حيث قال : (يا أيها الناس إنا خلقناكم من
ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لعارفوا) إن أكرمكم عند

(١) سمي بصم الصاد وتشديد الهمزة ، نسبة إلى أهل الصفة ، وصفاني نسبة إلى
أهل الصفاء ، وصفوي بفتح الصاد وسكون الهمزة ، نسبة إلى صموة ، وصفي
بفتح الصاد وتشديد الهمزة نسبة إلى الصب المقدم .

الله أنفكم^(١)

وفي « الصحيح » عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ ، أنه سئل : أي الناس أفضل ؟ قال : « أنفكم » قيل له : ليس عن هذا نسألك ، فقال : « يوسف بن الله » ، ابن يعقوب بن الله ، ابن إسحاق بن الله ، ابن إبراهيم خليل الله . قيل له : ليس عن هذا نسألك . فقال : « عن معادن العرب نسألوني » ، الناس معادن كمعادن الذهب والفضة ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام ، إذا فقهوا^(٢) .

فدل الكتاب والسنة أن أكرم الناس عند الله أنفكم

وفي « السنن » عن النبي ﷺ أنه قال : « لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لمجمعي على عربي ، ولا لأسود على أبيض ، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى » ، كلهم لآدم ، وآدم من تراب^(٣) .

وعنه أيضاً ﷺ أنه قال : « إن الله تعالى أذهب عنكم عيبَةَ^(٤) الجاهلية ، وفجرها بالآباء ، الناس رحلان مؤمن تقي ، وفاجر شقي^(٥) . فمن كان من هذه الأصناف أتى الله ، فهو أكرم عند الله ، وإذا استويا في التقوى ، استويا في الدرجة .

(١) سورة الحجرات ، آية : ١٣ (٢) رواه البخاري ومسلم .

(٣) رواه أحمد في « المسند » عن أبي بصرة ، وقيل الميموني : رجلاه رحال الصحيح . (٤) العيبة : الكبير .

(٥) حديث صحيح ، رواه أبو داود ، وأبو مريم ، وقال : حسن صحيح .

ولفظ الفقر في الشرع ، يراد به الفقر من المال ، ويراد به فقر المخلوق إلى خالقه ، كما قال تعالى (إنا الصدقات للفقراء والمساكين)^(١) وقال تعالى (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله)^(٢) وقد مدح الله تعالى في القرآن صنفين من الفقراء : أهل الصدقات ، وأهل اليأس .

فقال في الصنف الأول : (للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضرباً في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافاً)^(٣) .

وقال في الصنف الثاني ، وهم أفضل الصنفين : (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً ويبصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون)^(٤) .

وهذه صفة المهاجرين الذين هجروا السبيلات ، وجاهدوا أعداء الله باطنياً وظاهراً ، كما قال النبي ﷺ : « المؤمن من أمنه الناس على دماءهم وأموالهم »^(٥) و « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه »^(٦) والمجاهد من جاهد نفسه في ذات الله »^(٧)

(١) سورة التوبة ، الآية : ٦٠ (٢) سورة طاهر ، الآية : ١٥

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٧٣ (٤) سورة الحشر ، الآية : ٨

(٥) رواه أحمد ، والترمذي وقال حسن . ورواه ابن ماجة ، ورحاله ثقافت .

(٦) رواه استخاري ومسلم (٧) رواه الترمذي ، وأحمد ، والطبراني ،

قال إمامنا : حديث حسن

وأما الحديث الذي يرويه مصمم، أنه قال في عزوة تنوك^(١) رجباً من الجهاد لا يصعد إلى الجهاد إلا كبره، فلا أصل له، ولم يروه أحد من أهل المعرفة بأقوال النبي ﷺ وإفعاله^(٢)، وجهاد الكفار من أعظم الأعمال، بل هو أفصل ما يطوع به الإنسان قال الله تعالى: (لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فصل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدین درجة وكلاً وعد الله الحسنى وفصل الله المجاهدين على القاعدین أحراراً عظيمًا)^(٣)، وقال تعالى: (جمنتم سفاهة الحاح وعمارة المسجد الحرام كن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستنويون وعد الله والله لا يهدي القوم الظالمين الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون ينشرهم رحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم حالدين فيها أبداً إن الله عنده أحر عظيم)^(٤)

ونبت في صحيح مسلم، وعبره عن النعمان بن بشير رضي الله عنه، قال: كنت عند النبي ﷺ، فقال رجل: ما بأبي إلا أن يعمل عملاً

(١) قال الحافظ المرافي، رواه ابنه في نسخة ضعيف عن حار، وقال الحافظ ابن حجر: هو من كلام إبراهيم بن عتبة.

(٢) - سورة النساء، الآية: ٩٥ (٣) سورة التوبة، الآيات ١٩ - ٢٢

بعد الإسلام إلا أن نسي الحاح . وقال آخر ما أنبأ أن أعمل عملاً بعد
لإسلام ، إلا أن أعمر لمسجد الحرم . وقال علي بن أبي طالب . الجهاد في
سبيل الله أفضل مما ذكرتم ، فقال عمر لا يرفعوا أصواتكم عند منبر
رسول الله ﷺ ولكن إذا قصبت الصلاة سألته ، فسأله فأرسل الله
تعالى هذه الآية

وفي « الصحيحين » عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال
« أت يا رسول الله أي الأعمال أفضل عند الله عز وجل » قال « الصلاة
على وقتها » قلت « ثم أي » قال « بر الوالد » قلت « ثم أي » قال
« الجهاد في سبيل الله » قال حدثني من رسول الله ﷺ ولو استزده
أدري

وفي « الصحيحين » عنه ﷺ أنه سئل أي الأعمال أفضل ؟
قال : « إعانت بالله ، وجهاد في سبيله » قيل « ثم ماذا » قال : « حج
مبرور » .

وفي « الصحيحين » أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ يا رسول
الله أحرري بعمل بعدل الجهاد في سبيل الله . قال « لا نستطيعه ، أو
لا نطيعه » قال فأحرري به ، قال « هل نستطيع إذا خرجت محارباً
أن نصوم ولا نقطر ، ونقوم ولا نكفر »

وفي «السيرة» عن معاذ رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ ، أنه وصاه لما بعثه إلى اليمن ، فقال : « يا معاذ ، اتق الله حينما كنت ، واتع السيئة الحسنة فتحها ، وحالق الناس مخلوق حسن »^(١) وقال : « يا معاذ ، إني لأحبك ، فلا تدع أن تقول في دبر كل صلاه اللهم أعني على ذكرك وشكرك ، وحسن عبادتك »^(٢) ، وقال له وهو رديعه : « يا معاذ ، أتدري ما حق الله على عباده ؟ » قلت : الله ورسوله أعلم . قال : « حقه عليهم أن يعبدوه ، ولا يشركوا به شيئاً . أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك ؟ » قلت : الله ورسوله أعلم . قال : « حقهم عليه ألا يعبدتهم »^(٣) .

وقال أيضاً لمعاد : « رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، ودروه ستامه لجهاد في سبيل الله » وقال : « يا معاذ ، ألا أخبرك بأواب البر ؟ الصوم جنة ، والصدقة تطفى الحطية كما يطفى الماء النار ، وقيام الرجل في جوف الليل » ثم قرأ (تنجاني جنوسهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون . فلا تسم نفس ما ألحقني لهم من قرّة أعين جرات بما كانوا يعملون)^(٤) ثم قال : « يا معاذ ، ألا أخبرك بما هو أملك لك من ذلك ؟ » فقال : « أم لك عليك لسانك هذا ، فأخذ لسانه ، قال

(١) رواه الترمذي وقال : حديث . وهو كما قال

(٢) رواه أبو داود ، وإسائي ، وسنده صحيح .

(٣) رواه الشيخان (٤) سورة اسجدة ، آياتان : ١٦ ، ١٧ .

يارسول الله وإنا نؤاخذون بما تكلّم به في غيبك بما سمعنا،
وهل يكف الناس في النار على ما حرم إلا حصائد ألسنتهم»^(١)

وتفسير هذا ما نمت في «الصحيحين» عنه ﷺ أنه قال «من
كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت» فالسكام «خير
خير من السكوت عنه» وليصمت عن الشر خير من السكام به، فأما
لصمت الذنم فمدعة مهية عنها، وكذلك لا يمنع عن أكل الخبز
واللحم وشرب الماء، فذلك من البدع المدمومة أصلاً، كما نمت في
«صحيح البخاري» عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ رأى
رجلاً قائماً في الشمس، فقال ما هذا، فقلوا «يا إسرائيل يدرك
قوم في الشمس، ولا يستظل، ولا يشكّم، وبصوم» فقال النبي ﷺ
«مروهم فليحاس، وليستفط، وليتكام، وبينهم صومه»

ونمت في «الصحيحين» عن أنس بن مالك قال سألت رسول الله ﷺ
رسول الله ﷺ فكانهم نقادوها، فقالوا «أشأ من رسول الله ﷺ»
ثم قال أحدهم: أما أنا فأصوم ولا أفطر، وقال الآخر: أما أنا فأفطر
ولا أنام، وقال الآخر: أما أنا فلا آكل للحوم»^(٢)، وقال الآخر: أما

(١) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح، وقد نكاه عنه الخاططان
رحب الحسني في «جامع العلوم والحكم»، غير جمع (٢) حمه «لا آكل
للحم» هي من رواية مسلم، وليست في البخاري

ثُمَّ افلا تزوج النساء . فقال رسول الله ﷺ : « ما بل رجال يقول أحدهم كذا وكذا ، ولكي أصوم وأفطر ، وأقوم وأنام ، وآكل اللحم ، وأزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس يني » ؛ أي سلك غيرها ضالاً ، فإن كان كذلك فهو بريء من الله ورسوله ، قال تعالى : (ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه)^(١) بل يحب على كل مسلم أن يعتقد أن خير الكلام كلام الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، كما ثبت عنه في « الصحيح »^(٢) : « كان يخطب بذلك كل يوم جمعة . »

فصل

وليس من شرط ولي الله أن يكون معصوماً لا يملط ولا يخطئ ، بل يجوز أن يحصى عليه بعض علم الشرمة ، ويجوز أن يشتهه عليه بعض أمور لدين ، حتى يحسب بعض الأمور مما أمر الله به وبما نهى الله عنه ، ويجوز أن يظن في بعض الخوارق أنها من كرامات أولياء الله تعالى ، وتكون من الشيطان انسها عليه لضعف درجته ، ولا

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٣٠

(٢) أي « صحيح مسلم » ، ومطه : « أما بعد ، فإن خير الحديث كتاب الله ،

وخير الهدي هدي محمد ، ﷺ . »

يعرف أنها من الشيطان ، وإن لم يخرج بذلك عن ولاية الله تعالى ، فإن الله سبحانه وتعالى تجاوز لهذه الأمة عن الخطأ والمسيات وما استكروهوا عليه ، فقال تعالى : (آمن لرسول عما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا يفرق بين أحدهم رسله وقالوا سمعنا وأطعنا فقراك رسا وإليك نصير) لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت رسا لا تؤاخذنا إن بسبنا أو أخطأنا رسا ولا نحمل عليها إصراً كما حمته على الذين من قبلنا رسا ولا تحمئنا ما لا طاعة لنا به وأعف عنا وعمرنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين)^(١)

وقد ثبت في « الصحيح »^(٢) أن الله سبحانه استجاب هذا الدعاء وقال : « قد فعلت »

في « صحيح مسلم » عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال لما نزلت هذه الآية (إن تدوا ماي نسكم أو نخموه بحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير)^(٣) قال : دخل قلوبهم منها شيء لم يدخلها قبل ذلك شيء أشد منه ، فقال النبي ﷺ : « قولوا سمعنا وأطعنا وسلمنا » قال فأتى الله بالإيمان في قلوبهم ، فأرسل

(١) سورة البقرة ، آيات ٢٨٥ ، ٢٨٦ (٢) أي « صحيح مسلم » .

(٣) سورة البقرة ، الآية ٢٨٤

الله تعالى (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها)^(١) ، وفي قوله (وأخطأنا)^(٢)
 قال الله : « قد فعلت » (ربما ولا تحمل عبداً إصراً كما حمته على الذين من
 قسما)^(٣) قال « قد فعلت » (ربما ولا تحمينا ملاطفة ما به وعف عما
 واقعنا ورحمنا أنت مولانا انصرنا على انقوم الكافرين)^(٤) قال :
 « قد فعلت » وقد قال تعالى (وليس عليكم جناح مما أخطأتم به ولكن
 ما أمتدت قلوبكم)^(٥)

ونفت في « المستجيبين » ر. المي رحمته الله من حديث أبي هريرة
 وعمر بن العاص رضي الله عنهما مرفوعاً ، أنه قال « قد جئنا الخاتم
 فأصاب له حران ، وإن أخطأ له حر » ، فم يؤثم المجتهد المخطئ ،
 بل حمل له أحرأ على اجتهداده ، وجعل حصاة مخفورة له ، وكن المجتهد
 المصاب له أحران ، فهو أفضل منه ، ولهذا لما كان ولي الله يحوز أن
 يخطئ لم يجب على الناس الايمان بجمعه ما قوله من هو ولي الله ، إلا
 أن يكون نبياً ، بل ولا يحوز لولي الله أن يخطئ على ما يقى إليه في نفسه ،
 إلا أن يكون موافقاً ، وعلى ما يقع له مما يراه إلهاماً ومحادثة وخطاباً
 من الحق ، بل يجب عليه أن يمرض ذلك حميه على ما جاء به محمد رحمته الله

(١) سورة النقرة ، آية : ٢٨٦

(٢) سورة الأحزاب ، آية .

(٣) سورة النقرة ، الآية : ٢٨٦ .

دين وواقعه قبله ، وإن حاصره لم قبله ، وإن لم يعلم موافق هو ثم مخالف ،
توقف فيه

وليس في هذا الباب ثلاثة أصناف : طرفان ووسط ، فهم
من إذا اعتقد في شخص أنه ربي لله ، واقفه في كل ما طعن أنه حدته
به قلبه عن ربه ، وسأثم عليه جميع ما فعله ؛ ومهم من إذا رأى قد قال أو
فعل ما ليس موافق للشرع ، أخرجته عن ولائه لله بالكلية وإن كان
مجتهداً محضاً ، وجبار الأمور أو ماضياً ، وهو أن لا يحسن معصوماً ولا
مأثوماً إذا كان مجتهداً محضاً ، فلا يتبع في كل ما يقوله ، ولا يحكم عليه
بالكفر والمسيق مع جهاده

والو حجب على الناس من عدم امتثال لله رسوله ، وأما إذا خالف
قول بعض الفقهاء ووافق قول آخر ، لم يكن لأحد أن يرميه بقول
المخالف ، ويقول : هذا خالف الشرع

وقد ثبت في « الصحيحين » عن النبي ﷺ أنه قال : « قد كان
في الأنهم قبلكم محدثون فإن يكن في أمتي أحد فعمر منهم » وروى
الترمذي وغيره عن النبي ﷺ أنه قال : « لو لم تمت فيكم لمت
فيكم عمر » (١)

(١) من هو في الترمذي ، وإعسا حرجه ابن عدي ، وفي سنده زكريا بن
يحيى الوزار . قال ابن عدي يصح الحديث ، وللهديث شواهد كلها صحيحة .

وفي حديث آخر : «إن الله صرب الحق على لسان عمر وقلبه»^(١) .
 وفيه «لو كان بي يدي لكان عمر»^(٢) وكان علي بن أبي طالب رضي
 الله عنه يقول ما كنا بيمدأ السكية نطق على لسان عمر ثبت هذا
 عنه من رواية الشامي^(٣) وقال ابن عمر ما كان عمر يقول في شيء :
 «إني لأراه كذا» إلا كان كما يقول وعن نيس بن صارق قال كما
 تحدث أن عمر ينطق على لسانك وكان عمر يقول اقترؤا من
 «فوء المطيعين» واصموا مهم ما تقولون ، فإنه تنجلي لهم أمور صادقة
 وهذه الأمور الصادقة التي أحمرها عمر بن الخطاب رضي الله
 عنه ، أنها تنجلي للمطيعين ، هي الأمور التي يكشفها الله عز وجل لهم ،
 فقد ثبت أن لأولياء الله سموات ومكاشفات ، وأفضل هؤلاء في
 هذه الأمة بعد أني ~~مكر~~ عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ؛ فإن خير
 هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر^(٤)

= وفي في حاء في الترمذي : «لو كان بي يدي لكان عمر» . وهو حديث
 حسن . (١) روه الترمذي معظ ، «إن الله صرب الحق على لسان عمر وقلبه»
 وقال : حديث حسن ، وهو كما قال .

(٢) رواه الترمذي ، وهو حديث حسن .

(٣) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» .

(٤) أخرجه البخاري عن عمر قال : «كنا بحجر اساس في زمن ابي

وبكر» ؛ «بحر أما بكر ، ثم عمر بن الخطاب ، ثم عثمان بن عفان رضي الله عنهم .

وأخرج البخاري وأبو داود عن محمد بن الحنفية قال : قلت لأبي رضي الله عنه : =

وقد ثبت في «الصحيح» تعيين عمر، بأنه محدث في هذه الأمة
فأني محدث ومحاط فرض في أمة محمد ﷺ، فعمر أفضل منه، ومع
هذا فكان عمر رضي الله عنه يفعل ما هو الواجب عليه، فيعرض ما يقع
له على ما جاء به الرسول ﷺ، فتارة يوافقه فيكون ذلك من فضائل
عمر، كما رل القرآن موافقه غير مرة، وتارة يخلفه فيرجع عمر عن
ذلك، كما رجع يوم الحديبية لما كان قد رأى عارمة المشركين؛ والحديث
معروف في «النخاري» وغيره، «بأن النبي ﷺ قد اعتمر سنة
سنت من الهجرة، ومعه المسمون نحو ألف وأربعمائة، يوم لذين بأبوه
نحت الشجرة، وكان قد صالح المشركين بعد مراجعة جرت بينه
وبينهم، على أن يرجع في ذلك العام، ويمتد من العام القابل، وشرط
لهم شروطاً فيها نوع غصاصة على المسلمين في الظاهر، فشق ذلك على
كثير من المسلمين، وكان الله ورسوله أعلم وأحكم عما في ذلك من
المصاحبة، وكان عمر ميمناً كره ذلك حتى قال للنبي ﷺ يا رسول الله
أسماعلي الحق وعدونا على الناس، قال «بلى»، قال أفلين قلنا
في الخنة وفلام في النار، قال «بلى»، قال فلام مطي الدينة في ديننا
وقال له: النبي ﷺ «إني رسول الله وهو باصري، ولست
أعصيه» ثم قال أفلم تكن تحدثنا أنا تأتي البيت ونطوف به، قال:
«آيت أي إمام خير عند رسول الله ﷺ؟ قال أبو بكر. قلت ثم من؟
قال: عمر، وحشت أن أقول: ثم من؟ فيقول: عثمان، فقلت: ثم أنت، قال:
ما أنا إلا رحل من المسلمين.

عليه السلام قال : « أقمت لك إياك ثانية لعام » قال لا قال : « إياك ثانية »
و« طوف » ٤٠

فذهب عمر إلى أبي بكر رضي الله عنهما فقال له مثل ما قال للنبي
ﷺ ، ورد عليه أبو بكر مثل جواب النبي ﷺ ، ولم يكن أبو بكر
يسمع جواب النبي ﷺ فكان أبو بكر رضي الله عنه أكمل موافقة
للنبي ﷺ من عمر ، وعمر رضي الله عنه رجوع عن ذلك ، وقال :
فعلت لذلك أعمالا (١)

وكذلك لما مات النبي ﷺ ، أنكر عمر موته أولاً ، فلما قال
أبو بكر : إنه مات ، رجوع عمر عن ذلك (٢)

(١) رواه البخاري في باب الشروط في الجهاد والمصاحبة مع أهل الحرب (ح
٢٣٩/٣) (٢) روى البخاري عن عائشة زوجة أبي النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ
مات ، أبو بكر فأسح فاب إسحق بن (هو شيخ البخاري) رضي الله عنه ، فقام
عمر يقول : والله مات رسول الله ﷺ فاب وقال عمر : والله ما كان يقع في
مسي إلا دار ، وإلا فإنه قد قبض على يدي رجاء وأرجعهم ، وجاء أبو بكر فكشف
عن رسول الله ﷺ فقبله فقال : يأتي أنت وأمي طبت حياً وميتاً ، والذي نفسي
بيده لا يديك ، إنه أبو تميم ، بدأ ثم خرج فقال : أما الخلف على رسلك ، فلما
تسكلم أبو بكر جلس عمر ، فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه وقال : ألا من كان
بمسند محمد ﷺ فإن محمد قد مات ، ومن كان بمسند الله فإن الله حي لا يموت
وقال : (إياك ميب وإياهم ميتون) ، قال : (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله
الرسد أفان باب أو قد نزلناك على أعقابك ومن ينقلب على عقبيه لننزلن بصر الله
شدائاً وسيحري الله الشاكين) أخرجه البخاري عن باب جواب أبي النبي ﷺ :
لو كنت متحداً حميلاً في أساف (٦/٥)

وكذلك في قول ماسي لزكاة قال عمر لأبي بكر : كيف
نقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس
حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، فإذا فعلوا ذلك عصموا
معي دماءهم وأموالهم ، إلا بحقها » فقال له أبو بكر رضي الله عنه : ألم
يقول « لا بحقها » من زكاة من حقها ، والله لو مسعوني عاقاً كانوا
يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقائناهم على منعتها قال عمر : فوالله ما هو
إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال ، فصامت به الحقي (١) .
ولهذا نظر تبيين تقدم أبي بكر على عمر ، مع أن عمر رضي الله
عنه محدث ، فإن مرتبة الصديق فوق مرتبة المحدث ، لأن الصديق
ينافى عن رسول المصنوع كل ما يقوله وعمله ، والمحدث يأخذ من
قلبه أشياء ، وقلبه ليس بمصنوع ، فيحتاج أن يعرضه على ما جاء به النبي
المصنوع ﷺ

ولهذا كان عمر رضي الله عنه بشاور الصحابة رضي الله عنهم ،
ويأظفهم ويرجع إليهم في بعض الأمور ، ويأرعو به في أشياء فيحتاج
عليهم ويحججون عليه بالكلمات والسنة ، ويقرآن على مازعته ، ولا يقول
(١) أخرجه الشيخان عن أبي هريرة وفي مسلم سقط : لو مسعوني عاقاً ،
يقول : عاقاً .

لهم أنا محدث ملهم غلط فبدعي لكم أن تقبلوا بي ولا تعارضوني،
فأي أحد ادعى، أو ادعى له صحابه أنه ولي الله، وأنه محط بحسب على
اتباعه أن يقبلوا منه كل ما يقوله، ولا يمارضوه ويستموأله حاله من
غير اعتبار بالكتاب والسنة، فهو وم عطاوون، ومثل هذا أصل
الناس، فممن من الخصاب رضي الله عنه أصل منه، وهو أمير المؤمنين،
وكان اسمهم يمارعونه ويمرضون ما يقوله، وهو وم على الكتاب
والسنة، وقد اتفق سلف الأمة وائمها على أن كل أحد يؤخذ من قوله
ويترك، إلا رسول الله ﷺ

وهذا من المروق بين الانبياء وعبرهم، فإن لآل بيته صلوات
الله عليهم وسلامه، يحب لهم الايمان بجميع ما يبحرون به عن الله عز
وجل، وتحب طاعتهم فيما أمرور به، بخلاف الاولياء، فإنهم لا تحب
طاعتهم في كل ما بأمرور به، ولا الايمان بجميع ما يبحرون به، بل
يعرض أمرهم وحكم على الكتاب والسنة، فما وفق الكتاب والسنة
وجب قبوله، وما خالف الكتاب والسنة كان مردوداً، وإن كان صاحبه
من أولياء الله، وكان محمداً معدوراً بما قاله، له أحر على اجتهاده،
ولكنه إذا خالف الكتاب والسنة كان محضاً، وكان من خطأ المعهور
إذا كان صاحبه قد اتقى الله ما استطاع، فإن الله تعالى يقول (فاتقوا

الله ما استطعتم) ^(١١)

وهذا تفسير قوله تعالى . (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق

تقاته) ^(١٢)

قال ابن مسعود وغيره . حق تقاته أن تطاع ولا يعضى ، وأن
يدكر فلا يفتى ، وأن يشكر فلا يكفر أي بحسب استطاعتكم ، فإن
الله تعالى لا يكاف نفساً إلا وسمها ، كما قال تعالى (لا يكاف الله
نفساً إلا وسمها لها ما كسبت وعليها ما كسبت) ^(١٣) وقال تعالى
(والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا يكاف نفساً وسمها ولئلك أصحاب
الحمة هم فيها خالدون) ^(١٤) وقال تعالى . (وأوفوا الكيل والميزان بالقسط
لا يكاف نفساً إلا وسمها) ^(١٥)

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى الأيمان ، جاءت به الأنبياء في غير
موضع ، كقوله تعالى . (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى
إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأيصاوط وما أوتي موسى
وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له
مسلمون) ^(١٦) وقال تعالى . (ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين

- | | |
|------------------------------|-------------------------------|
| (١) سورة التين ، الآية ١٦٠ | (٢) سورة آل عمران ، الآية ١٠٤ |
| (٣) سورة البقرة ، الآية ٢٨٦ | (٤) سورة الاعراف ، الآية ٤٤ |
| (٥) سورة الانعام ، الآية ١٥٢ | (٦) سورة البقرة ، الآية ١٣٦ |

الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقهم ينفقون والذين
يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون
أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون (١) وقال تعالى :
(ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من
آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والنبيين وآتى المال على حبه
دوي القرى ويتقى ولسا كبر وان السبل والسائلين وفي لقاب وأقام
الصلاة وآتى الزكاة والمؤمنون مبدعون عاهدوا والصالحين في لنساء
والغصاة وحين الناس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المفلحون (٢)

وهذا الذي ذكرته ، من أن أولياء الله يحب عبدهم الاعتصام
بالكتاب والسنة ، وأنه ليس فيهم معصوم يسوع نه وأمره اتساع
ما يقع في قلبه من غير اعتبار بالكتاب والسنة هو مما انفق عليه أولياء
الله عز وجل ، ومن حالف في هذا فليس من أولياء الله سبحانه
الذين أمر الله بالتساع ، بل إما أن يكون كافراً ، وإما أن يكون
مفرطاً في الجهل .

وهذا كثير في كلام المشايخ ، كقول الشيخ أبي سليمان الداراني (٣) .

(١) سورة البقرة ، الآيات ١ - ٥ (٢) - سورة البقرة ، الآية ١٧٧

(٣) هو عبد الرحمن بن أحمد بن عطية الداراني ، نسبة إلى داره ، قرية من

دمشق ، توفي سنة ٢١٥

أنه ليقم في قببي الكفة من صكت انقوم ، فلا قلبها إلا شاهدين :
الكتاب والسنة

وقال أبو الحسن الحيد^(١) رحمه الله عليه عما هده مقيد بالكتاب
والسنة ، من لم يقرأ القرآن وبكس الحديث ، لا يصح له أن يتكلم في
علمنا ، أو قال : لا يقتدى به

وقال أبو عثمان ليساوري من أمر السنة على منه قولاً
وعملاً ، نصق بأحكامه ، ومن أمر لحوى على منه قولاً وعملًا ، نطق
بالدعة ، لأن الله تعالى يقول في كلامه اقدم : (وإن تطيعوه
تهتدوا)^(٢)

وقال أبو عمر من يجرد كل وجند لا يشهد له الكتاب والسنة
فهو باطل .

وكثير من الناس يماط في هذا الموضع ، فيظن في شخص أنه ولي
الله ، ويظن أن ولي الله يقبل منه كل ما يقوله ، ويسأله إليه كل ما يقوله
ويسأله إليه كل ما يفعله ، وإن حارب الكتاب والسنة ، فوافق ذلك
الشخص له ، ويحرف ما بعث الله به رسوله الذي فرض الله على جميع

(١) هو أبو القاسم الحيد بن محمد بن حيد احمد بن أبي الحر ، أصله من حم وده ،
ومولاه لمارقي ، رفته على مذهب أبي نور . توفي سنة ٢٩٧

(٢) سورة اسور ، الآية : ٥٤

الحق نصديقه فيما أحبر وطاعته فيما أمر، وجعله المارق بين أوليائه
وأعدائه، ومن أهل الجنة وأهل النار؛ وبين السعداء والأشقياء، من
اتبعه كان من أولياء الله المتقين، وجنده المفلحين، وعواده الصالحين،
ومن لم يتبعه كان من أعداء الله الخاسرين المجرمين، فجهنمه نكفة لرسول
وموافقة ذلك الشخص أولاً إلى المدعة والضلال، وآخراً إلى الكفر
والفراق، ويكون له نصيب من قوله تعالى: (ويوم يمس الظالم على
يديه يقول باليني اتخذت مع الرسول سبيلاً يا بني ليتني لم اتخذ
فلاناً خيلاً لقد أصلي عن لذكر بعد إذ جاءني، وكان الشيطان
للإنسان خذولاً) ^(١) وقوله تعالى: (يوم يذنب وجوههم في النار
يقولون باليننا طعنا الله وأطعنا الرسولاً وقالوا رسا إنا أضلنا سادتنا
وكبرائنا فأصلحوا السبيلاً رسا آتاهم صفيين من المذاب والمهم لعنا
كبيراً) ^(٢) وقوله تعالى: (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً
يحسبهم كحب الله ولدين آمنوا أشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا
إذ يرون المذاب أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد المذاب إذ ترا
الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا المذاب وتقطعت بهم الأسباب
وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتنزلهم كما تنزلنا منا كذلك

(١) سورة المرقان، الآيات: ٢٧-٢٩

(٢) سورة الاحزاب، الآيات: ٦٦-٦٨

يربهم الله أمم لهم حمرات عليهم ومأم بحارحين من النار^(١)
وهؤلاء مشابهون للنصارى الذين قال الله تعالى فيهم (اتخذوا
أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا
إلا ليعبدوا لها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون)^(٢)

وفي « المستند » وصححه^(٣) الترمذي عن عدي بن حاتم في تفسيره
هذه الآية ، لما سأل النبي ﷺ عنها فقال ما عدوم ، فقال النبي ﷺ
« أحلوا لهم الحرام ، وحرّموا عليهم الحلال ، فطاعوم وكات هذه
عاداتهم إياهم » ولهذا قيل في مثل هؤلاء ، إنما حرّموا الوصول تنضييع
الأصول ، فإن أصل الأصول تحقيق الإيمان بما جاء به لرسول ﷺ
فلا بد من الإيمان بأن محمداً رسول الله ﷺ إلى جميع الخلق ، وإسهم
وجنهم ، عربهم وعجمهم ، علمائهم وعبادهم ، ملوكهم وسوقتهم ، وأنه
لا طريق إلى الله عز وجل لأحد من الخلق إلا بعبادته باطناً وظاهراً
حتى لو أدركه موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء لوجب عليهم اتباعه ،
كما قال تعالى : (وإذا أحد الله ميثاق النبي لما أتيتكم من كتاب وحكمة
ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم اتؤوا به ولتنصروني قال أقررنا
وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من

(١) سورة العنكبوت ، آيات ١٦٥٠ - ١٦٧ (٢) سورة التوبة ، الآية ٣١

(٣) الترمذي لم يصححه وإنما حسبه فقط وهو الصواب .

الشاهدين فمن تولى بعد ذلك فأوثقتم العاسقون^(١).

قال ابن عباس رضي الله عنهما ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه
الميثاق، أن يثبت محمد وهو حي ليؤمن به وليبصره، وأمره أن
يأخذ على أمته الميثاق، أن يثبت محمد وهم أحياء ليؤمن به وليبصره،
وقد قال تعالى (ألم تر إلى الذين يرمون أنهم آمنوا بما نزل إليك
وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا
أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً وإذا قيل لهم
نماتوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً،
فكيف إذا أصابهم مصيبة مما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله إن
أردنا إلا إحساناً وتوفيقاً أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض
عنهم وعظمهم وعن لهم في أنفسهم قولاً بليغاً وما أرسلنا من رسول
إلا ليطاع بأذن الله، ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله
واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً، فلا وربك لا يؤمنون
حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت
ويسلموا تسليماً^(٢))

(١) سورة آل عمران الآذان ٨١٠، ٨٢

(٢) سورة النساء، الآيات ٦٥-٦٠

وكل من خاف شيئاً مما جاء به الرسول . مقلداً في ذلك لمن
يظن أنه ولي الله ، فإنه سي أمره على أنه ولي الله ، وإن ولي الله لا يخاف
في شيء ، ولو كان هذا الرجل من أكبر أولياء الله . كأكار الصحابة
والتابعين لهم بإحسان ، لم يقل منه ما خاف الكذاب والسفة . فكيف
إذا لم يكن كذلك ، واتخذ كثير من هؤلاء ؛ عمدتهم في اعتقاد
كونه وبياً لله ، أنه قد صدر عنه مكاشفة في بعض الأمور ، أو بعض
النصرات الخارقة للمادة ، مثل أن يشير إلى شخص فيموت ، أو يطر
في الهواء إلى مكة أو غيرها ، أو ينهي على الماء حياً ، أو علاً أرمية
من الهواء ، أو يهق بعض الأوقات من أعين ، ونحن أحياناً عن
أعين الناس ، أو أن بعض الناس استعانت به وهو غائب أو ميت
فراه قد جاءه ، ففضى حاجته ، أو يحرق الناس مما سرق لهم ، أو يحل
غائب لهم أو مريض ، أو نحو ذلك من الأمور ، وليس في شيء من
هذه الأمور ما يدل على أن صاحبها ولي الله ، بل قد اتفق أولياء الله ،
على أن الرجل لو طار في الهواء ، أو مشى على الماء ، لم يسم به حتى
يظفر منامته لرسول الله ﷺ وموافقته لأمره وسهبه .

وكرامات أولياء الله تعالى ، أعظم من هذه الأمور ، وهذه
الأمور الخارقة للعادة ، وإن كان قد يكون صاحبها ولياً لله ، فقد

يكون عدواً لله ، فإن هذه الخوارق تكون الكثير من الكفار
والمشركين وهن الكتاب والمافقين ، وتكون لأهل المدع ،
وتكون من الشياطين . فلا يجوز أن يظن أن كل من كان له شيء من
هذه الأمور أنه ولي لله ، بل يعتبر أولياء الله تصفاتهم وأعمالهم وأحوالهم
التي دل عليها الكتاب والسنة ، ومرفوعون سور الاعاء والقرآن ، ومحققون
لأيمان الماطنة وشرع الاسلام الطاهرة

مثال ذلك أن الأمور المدكورة وأمثالها ، قد توحيد في أشخاص
وتكون أحدهم لا توحداً ، ولا يصلي الصلوات المكتوبة ، بل يكون
ملاساً للنحاسات ، معانثاً للكتابات ، بأوي إلى الحمايات والقمامات
والمقار والمرايل ، رخنه حبيته ، لا ينظر الصهاية الشرعية ، ولا يتدطف
وقد قال النبي ﷺ : « لا تدخل الملائكة بيتاً فيه جيب ولا كلب »^(١)
وقال عن هذه الأحياء : « إن هذه لحشوش محصورة »^(٢) أي يحصرها
الشيطان ، وقال : « من أكل من هاتين الشجرتين فليكن من
أقرس مسجداً » ، والملائكة تنادي مما يتأذى منه بنو آدم »^(٣)

(١) أخرجه أبو داود والسناني عن أبي ، ورحاله ثقات ، إلا أن يحيى - وهو
أحد إمره - م يرفعه سوى المحلي ، وحدث في « صحيحين » ، وثبت قوله
« لا جيب » وروى أنه دود في « سننه » : « ثلاثة لا تفرهم الملائكة : جيبه ،
الكافر ، والمصمخ المخلوق ، والخبث إلا أن توحداً » ، وهو حديث حسن لطيفة
(٢) أخرجه أبو داود عن ريد بن أرقم ، ورحاله ثقات .

(٣) رواه مسلم لم يقط : « من أكل الثوم وأصل الكراث فلا يقرس »

وقال : « إن الله صيب لا يقبل إلا صبا »^(١) وقال : « إن الله صيب يحب لظفنه »^(٢) وقال : « خمس من لهو سقى يقطن في الحل والحرم الحلية والغاية والتراب والحدأة والكلب المقور »^(٣)
وفي رويته : « الحلية والمقرب » وأصر صلوات الله وسلامه عليه
يقول الكلاب^(٤) وقال : « من هي كلب لا مبي عنه ربحاً ولا صرعاً ،
تص من عمله كل يوم قدره »^(٥) وقال : « لا تصعب الملائكة رفقة
معهم كلب »^(٦) وقال : « إد واح الكلب في إناء خدكم بالمعصية . سمع
صراحت إحداهن بالتراب »^(٧)

وقال علي (أورحمي وسحب كل شيء) سأ أكتبها للذين يقولون
وتؤوبون الزكاة ولذين يؤمنون بآياتهم يؤمنون لرسول الله
معهدهما من أن يذكره في حديثه من آدم ، ورواه البخاري بسط .
ومن أن كان يصلي وتوماً فمعهدهما ، ورواه مسجداً ، واقطعة خبيثتين
وردت من قولهم : كافي وسجيج مبر .
(١) رواه مسلم عن أبي هريرة (٢) رواه الترمذي بسط . « إن الله تعالى
طيب يحب أطاب يطيب بحث المطابقة ، وهو حسن (٣) أخرجه مسلم
بهذا اللفظ ، وأجري بسط . وخمس من الدواب كلها مفسق يقطن في الحرم
مرب ، وأحدته ، وأصعرب ، وأعارة ، والكلب المقور ، (٤) ثبت أنه
صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الكلاب ، ثم هي عن ذلك واستثنى من أبي الكلب المقور ،
والأود البهم (٥) متفق عليه ، عن سفيان بن أبي ربيعة (٦) رواه مسلم ،
وأبو داود ، والترمذي ، وأحمد ، عن أبي هريرة ، (٧) رواه مسلم بسط :
« ولاهن » ، ومعهدهما وردت عند البخاري ، وبسندها ضعيف .

الأنبياء الذي يحذونه مكتوباً عندهم في التوراه ولا يحمل أمرهم به معروف
وبهم عن المنكر ويحس لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع
عندهم لأمرهم ولا يغفل الال التي كانت عليهم فالتقوا آمنوا به وعزروه
ونصروه وسمعوا الدور الذي أنزل معه أو تلك هم المعجودون^(١)

فإذا كانت الشخص مباشرة للحجاسات والحدثات التي يحسها
الشيطان ، أو يؤدي إلى الحماقات والحشوش ، التي تحصرها الشياطين ،
أو يأكل لحيت والمقارب والزمان ، وآذان الكلاب التي هي حدثت
وفواسق ، أو يشرب البول ويخوض من الحماقات التي تحسها الشيطان ،
أو يدعو غير الله يستغيث ، للمخلوقات ونوحه اليها ، وسجد إلى باعية
شيعة ، ولا يحصى الذين لرب العالمين ، أو لاس الكلاب أو البذران
أو يؤدي إلى المزال والمواضع المحسة ، أو يؤدي إلى المفسد ، ولا سيما
إلى مقار الكفار ، من اليهود والنصارى ، أو لمشركين ، أو يكره
سمع القرآن وسفر عنه ويقدم عليه سماع الأتاني والأشعار ، ويؤثر
سماع مراد الشيطان على سماع كلام الرحمن ، بهذه علامات وليه
الشيطان ، لا علامات أولياء الرحمن.

قال ابن مسعود رضي الله عنه لا يسأل أحدكم عن نفسه إلا
القرآن ، فإن كان يحب القرآن ، فهو يحب الله ، وإن كان ينفص القرآن

فهو ينفض الله ورسوله

وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه لو صهرت قلوبنا ما شبعنا
من كلام الله عز وجل

وقال سمسعود التكريتي لما كان في القاب ، كما يست
ماء النقر ، والعماء بدت الهماق في انقب ، كما يست ماء النقل

وإن كان الرجل حراً لمحقائق لايمان الله فيه ، فارق من الأحوال
الرحمانية ، والأحوال الشبعية ، فيكون قد قدف الله في نفسه من
بوره ، كما قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآموا برسوله ثم
كنوا من رحمته ويحمل لكم) (١) وقال تعالى :
(وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب
ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً هدى به ما نشاء من عبادنا) (٢) فهذا
من المؤمنين الذين جاءهم الهدى للذي روه البرمسي عن أبي سعيد
الخدري عن النبي ﷺ قال : اتقوا رسة المؤمنين فبه ينظر سور
الله . قال الترمذي حديث حسن (٣).

وقد تقدم حدث الصحيح للذي في البخاري وغيره قال فيه
لا يزال عهدي يقرب إلي ما لأول ، حتى أحبه ، فإذا أحبته ، كنت
معه لذي يسمع به ، وبصره لذي يصر به ، وبذات يمش بها ،

(١) سورة الحديد ، آية ٢٨ (٢) سورة الشورى ، الآية ٥٢

(٣) وهو حديث حسن لغيره ، كما قال الهيثمي وغيره .

ورجله التي يمشي بها [فهي يسمع وفي صر ، وفي مطش ، وفي
يمشي]^(١) ، والمثل سأي لأعصيه ، وثل اسمه الذي لأعصيه ، وما ترددت
في شيء ، ففعله ، ترددي في قص قص عهدي المؤمن ، أكره موت
وأكره مساواة ، [ولا بد منه]^(٢)

هذا كان الممد من هؤلاء فرق بين حال أولياء الرحمن وحال
أولياء الشيطان ، كما يفرق الصيرفي من الدرهم الحيد والدرهم الزم ،
وكما يفرق من يعرف لحيل بين لغرس الحيد والغرس ردي ، وكما
يفرق من يعرف الغروسية من الشعاع والحجر ، وكما أنه يحب الفرق
بين النبي الصادق وبين المذني الكذاب ، فيفرق بين محمد الصادق وبين
رسول رب العالمين ، وموسى والمسح وعنه هـ وبين سيادة الكذاب ،
والأسود المذني ، ومحنة لأسدي ، والحارث المذني ، وأبوه زوي ،
وعيرهم من الكذابين ، وكذلك يفرق بين أولياء الله الصالحين ، وأولياء
الشيطان الضالين .

فصل

والحقيقة حقيقته لدين رب العالمين هي ما نفع عنها لأبي
والمسلمون ، وإن كان لكل منهم شرعه ومذهب ، فاشترعه هي الشريعة
(١) ما بين المرسين ليس من روية اسجاري

قال الله تعالى (لكل جمعة منكم شرعة ومهاجاً)^(١) وقال تعالى (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون)^(٢) ان يمشوا على الله شيئاً وإن احسن معصم أولياء بعض والله ولي المقيمين)^(٣) والمهاج هو الطريق قال تعالى (وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقينهم ماء عذفاً لافتنهم فيه ومن يفرض على ذكركم به يسلكه عذاباً صعباً)^(٤).

والشرعة عبارة عن شرعة لله ، والمهاج هو الطريق الذي يسلك فيه ، والغاية المقصودة هي حقيقة الدين ، وهي عبادة الله وحده لا شريك له ، وهي حقيقة دين الاسلام ، وهي أن يستسلم العبد لله رب العالمين لا يستسلم لغيره ، فمن استسلم لغيره كان مشركاً ، والله (لا يعز أن يشرك به)^(٥) ومن لم يستسلم لله بل استكبر عن عبادته ، كان ممن قال الله فيه (إن الذين يسكبون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين)^(٦).

ودين الاسلام هو دين الأولين والآخريين من النبيين والمرسلين وقوله تعالى (ومن ينفع غير الاسلام دىاً فإن نفل منه)^(٧) عام في كل زمان ومكان

(١) - سورة المائدة ، آية : ٤٨ (٢) سورة الحاقة ، الآيات ١٨ ، ١٩

(٣) سورة القصص ، آيات ١٦ ، ١٧ (٤) سورة المائدة ، الآيات ١٨ ، ١٩

(٥) سورة عاقر ، الآيات ٩٠ ، ٩١ (٦) سورة آل عمران ، آيات ٨٥ ، ٨٦

فوح وإبراهيم وبقوب والأنبياء وموسى وعيسى
والحواريون ، كلهم دينهم الاسلام ، الذي هو عبادة الله وحده لا شريك
له قال الله تعالى عن ووح : (يا قوم إن كنت كبر عليكم مقامي
وتدكبري فأبأت الله فعلى الله توكلت فأحموهم)^(١) إلى قوله :
(وأمرت أن أكون من المسلمين)^(٢) وقال تعالى (ومن يرغب
عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه وقد أسلمه الله في الدنيا ولآله في
الآخرة من الصالحين) إذ قال له ربه أسلم فإن أسلمت لرب العالمين .
ووصى بها إبراهيم نبيه وبقوب ياسي إن الله مسطفي لكم لدين فلا
تؤمنوا إلا و^(٣) تم مسمون)^(٤) وقال تعالى . (وقال موسى لقومه يا قوم
إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين)^(٥)

وقال السجدة (رسا أفرع عليا صبرا وتوفنا مسلمين)^(٦)

وقال يوسف عليه السلام (توفي مسلماً وألحقني بالصالحين)^(٧) .

وقالت نافيس (سميت مع سليمان لله رب العالمين)^(٨) وقال

نصلي (بحكمها النبيون لدين أسلموا للدين هادوا والزمايرون

(١) - سورة يونس ، الآية ٧٦ (٢) سورة يونس ، الآية ٧٦

(٣) سورة اسعفة ، الآيات ١٣٠ - ١٣٢

(٤) سورة يونس ، الآية ٨٤ (٥) سورة الأعراف ، الآية ١٢٦

(٦) سورة يوسف ، الآية ١٠١ (٧) سورة النمل ، الآية ٤٤

والأحبار^(١) وقال الجواربون (آما لله واشهد أأما مسجون)^(٢).
 فدين الأنبياء واحد، وإن نوعت شرائعهم، كما في «الصحيحين»
 عن النبي ﷺ قال «إنا معشر لأنبياء ديننا واحد» قال تعالى (شرع
 لكم من الدين ما وصى به نوحاً ولذين أوحينا إليك وما وصينا به
 إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه، كبر على
 المشركين ما ندعومهم إليه)^(٣)، وقال تعالى (يا أيها الرسل كلوا من
 الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم وأن هذه أممكم أمة
 واحدة وأنا ربكم فاتقون فمقطعوا ممرم بينهم زراً كل حزب بما
 لديهم فرحون)^(٤).

فصل

وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها، وسائر أولياء الله تعالى، على أن
 الأنبياء أفضل من الأولياء الذين لبسوا بأبنياء، وقد رتب الله عباده
 السعداء المسموعين عليهم أربع مراتب، فقال تعالى (ومن يقطع الله والرسول
 فأوثق مع الذين آمنوا الله عليهم من السيئين والصدّيقين والشهداء

(١) سورة المائدة، الآية ٤٤ - (٢) سورة آل عمران، الآية ٥٢

(٣) سورة الشورى، الآية ١٣

(٤) سورة المؤمنون، الآيات ٥١ - ٥٣

والصالحين وحسن أولئك رفيقا^(١).

وفي الحديث: «ما صنعت الشمس ولا غربت على أحد بعد
السنيين والمرسلين أفضل من أبي بكر» وفصل الأمم أمة محمد
ﷺ قال تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس)^(٢) وقال تعالى (ثم
أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا)^(٣) وقال الذي ﷺ في
الحديث الذي في «المسند». «ثم قومون سبعين أمة، أم خيرها
وأكرمها على الله» وأفضل أمة محمد ﷺ، القرن الأول

وقد ثبت عن الذي ﷺ، من غير وجه أنه قال «خير القرون
القرن الذي نشت فيه، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»، وهذا
نابت في «الصحيحين» من غير وجه

وفي «الصحيحين» أيضاً عنه ﷺ أنه قال «لا تسبوا أصحابي،
فوالذي نفسي بيده، لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً، ما ملأ الله جحدهم
ولا نصيفه»

والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، أفضل من سائر
الصحابة.

(١) سورة النساء، الآية ٦٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٠. (٣) سورة فاطر، الآية ٣٢.

قال : لا يستوي مسيحي من ألقى من قبل ألقى وقابل
 أو لم يلق أعظم دية من الذي ألقى من قبله وقابل وكلاً وعد الله
 الحسي (١) وقال تعالى : لا يؤمن من الملاحين ولا نصارى
 ولدى موهم باحد من الله عموه وصوره (٢) ، الساقون
 لا يؤمنون ، الذين ألقوا من قبله وقابلوا ، ولم يلقوا من قبله
 الحمد لله ، فذلك أول ما يجب عليك ، والله عز وجل
 فذلك ما ألقى الله ما قدم من ذلك وما ألقى (٣) ، يا رسول
 الله ألقى هو ؟ قال : نعم

وقد قال النبي : لا يؤمن من قبله ولا من بعده ، وقد قال
 ثم عمر ، وهو هو ، يعرف من الصحابة ، والله عز وجل
 وأما الآية وحدها ، والله عز وجل ، لا يؤمن من قبله ولا من بعده
 أهل السنة النبوية في نقض كلامهم ، أشيعة وقدره

والله عز وجل ، والله عز وجل ، والله عز وجل ، والله عز وجل
 الآية ، والله عز وجل ، والله عز وجل ، والله عز وجل ، والله عز وجل
 من الصحابة ، وأفضل أولاد ، والله عز وجل ، والله عز وجل ، والله عز وجل

(١) سورة الحديد الآية ١٠ (٢) سورة الحديد الآية ١٠٠

(٣) سورة الحج ، الآية ٢

وإنما عاله ، كاصحابة الذين هم كس الأمة في معرفة دينه وإنشاعه ،
وأبو بكر الصديق أكمل معرفة عاله به وعملاً به ، فهو أفضل أولياء
الله ، إذ كانت أمة محمد ﷺ أفضل الأمم ، وفضلها أصحاب محمد ﷺ
وأفضلهم أبو بكر رضي الله عنه

وقد ظن طائفة صالحة ، أن حاتم لأولياء أفضل ، لأولياء ،
قياساً على حاتم الأنبياء ، ولم يتكلم أحد من المشايخ المتقدمين بحتم
الأولياء ، إلا محمد بن علي الحكيم الترمذي ، فإنه صنف مصمماً علق فيه
في مواضع ، ثم صار طائفة من المتأخرين رعم كل واحد منهم أنه حاتم
الأولياء ، ومنهم من يدعي أن حاتم الأولياء أفضل من حاتم الأنبياء
من جهة العلم بالله ، وأن الأنبياء يستفيدون لعلم الله من حبه ، كما زعم
ذلك ابن عربي صاحب كتاب الفنوحات لمكية ، وكتاب الفصوص ،
فخالف الشرع والعقل ، مع جملة جميع أنبياء الله تعالى وأوليائه ، كما
يقال لمن قال : فخر عليهم السقف من تحتهم لا عقل ولا قرآن

وذلك أن الأنبياء أفضل في الزمان من أولياء هذه الأمة ،
والأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام ، أفضل من الأولياء ، فكيف
الأنبياء كاهم ؟! والأولياء إنما يستفيدون معرفة الله بمن يأتيهم ،
ويدعي أنه حاتم الأولياء ، وليس آخر الأولياء أفضلهم ، كما أن آخر
الأنبياء أفضلهم ، من فضل محمد ﷺ ثبت بالنصوص الدالة على ذلك ،

كقوله ﷺ «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» وقوله «آني باب الحمة
فاستفتح، فيقول المخار من أنت؟ أقول محمد، فيقول بك
أصرت، أن لا أفتح لأحد قبلك»

وليلة مخرج، رفع الله درجته فوق الأنبياء كلهم، فكان
أحقهم بقوله تعالى (يكلمك لرسول اصننا مصهم على بعض منهم من
كلم الله ورفع مصهم درجات) (١) إلى غير ذلك من الدلائل، كل منهم
بأبيه الوحي من الله، لا سما محمد ﷺ، لم يكر في سؤنه محتاجاً إلى
غيره، فم تخرج شريعته إلى ساق، ولا إلى لاحق، بخلاف المسيح،
أحاطهم في أكثر الشريعة على النوراة، وجاء المسيح مكملها، ولهذا
كان المصاري محتاجين إلى السوت لمقدمة على المسيح، كانتوراة
والزبور، ونظام الأربع وعشرين سورة، وكان الأمم فينا محتاجين إلى
محدثين، بخلاف مة محمد ﷺ، فإن الله أعادهم به، فلم يحتاجوا معه
إلى شيء، ولا إلى محدث، بل جمع به من العصائن والعارف والأعمال
الصالحه ما فرقته في غيره من الأنبياء، وكان ما فصله الله به عما أرسله
إليه، وأرسله إليه، لا توسط شر

وهذا بخلاف الأولياء، فإن كل من سمع رسالة محمد ﷺ،

لا يكون ولي الله لا راع محمد ﷺ وكل ما حصل له من الهدى
 ودين الحق، هو توسط محمد ﷺ، وأما ما حصل له من رسالة رسول
 إليه، لا يكون ولي الله ولا راع محمد ﷺ، لأن ذلك ليس له من الهدى
 ومن دعوى أن من لأمره الدين منهم رسالة محمد ﷺ من
 له من الهدى إلى أنه لا يخرج منه من محمد ﷺ كما كان من قبله، أما
 مدح إلى محمد في طاهره، دون غير الله، وفي غير الله،
 دون غير الحقيقة، وهو شر من اليهود والنصارى الذين قالوا إن محمداً
 رسولا إلى الأنبياء دونهم، وأنك أنت أمهم، ومن
 وكفروا ببعض أمثالكم، كما أنك وكنت هذا الذي قول
 إن محمد أنت طاهره، دون غير الله، ومن أمثالكم من
 وكفر ببعض أمثالكم، وهو كفر من ذلك لأنهم لا يظن
 الذي هو غير الله، بل يقولون ومنه من وجوه لها، هو غير الحقيقة
 لايمان الطاهره، وهذا شرف من الله تعالى لا لأم طاهره
 فإذا ادعى المدعي، محمد ﷺ، أنه هو الذي لا نور
 الطاهره، من حقيقة لايمان، وأنه لا أحد غيره من الكبر
 وليسف فقد ادعى أن بعض الذي أمر به بما جاء به رسول، دون
 البعض الآخر، وهذا شر من يقول أن من بعض، وكفر ببعض،
 ولا يدعي أن هذا البعض الذي من به، أدنى للتقسيم

وهؤلاء الملاحدة يدعون أن لولاية أفضل من السوء، ويلبسون
على اللباس، فيقولون ولأنه أفضل من دونه، وبتشدون.

مقام لبوء في ررح فوق الرسول ودون الولي

ويقولون نحن شركاء في ولايته التي هي أعظم من رسالته،
وهذا من أعظم صلاحهم، فإن ولاية محمد لم تناله فيها أحد، لا إبراهيم
ولا موسى، فضلاً عن أن يناله فيها هؤلاء الملاحدون

وكل رسول بي ولي، والرسول بي ولي، ورسالته منضمة لسوءه،
وجوته منضمة لولايته، وإذا قدروا مجرد إساءة الله إياه بدون ولايته
الله، فهذا تقدير ممنوع، فإنه حال إساءة إياه، ممنوع أن يكون إلا ولياً لله،
ولا تكون مجردة عن ولايته، ولو قدرت مجردة، لم يكن أحد مما تلا
لرسول في ولايته

وهؤلاء قد يقولون كما يقول صاحب العصوص «إن عري
إنهم يأخذون من المعدن الذي يأخذ منه اسك الذي يوحى به إلى
الرسول، وذلك أنهم اعتقدوا عقيدة لمفسفة، ثم أخرجوها في قالب
المكاشفة، وذلك أن المفسفة الذين قالوا إن الأملك فديعة أرتية،
لها غلة تشبه بها، كما يقوله رسطو وساعة، ولها موجب بذاته،
كما يقوله متأخروهم، كما سينا، وأمثلة، ولا يقولون: إلهارب يخلق

السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ، ولا خلق الأشياء بمشيئته وقدرته ، ولا يعلم الحزنيات ، بل إما أن يسكروا علمه مطلقاً ، كقول أرسطو ، أو يقولوا إما يعلم في الأمور المتغيرة كليتها ، كما يقول ابن سينا ، وحقبة هذا القول إنكار علمه بها ، فإن كل موجود في الخارج فهو معين جزئي الأفلاك ، كل معين منها جزئي ، وكذلك جميع الأعيان وصفاتها وأفعالها ؛ فمن لم يعلم إلا الكلليات ، لم يعلم شيئاً من الموجودات ، والكلليات إما توجد كلياً في الأذهان ، لا في الأعيان .

والكلام على هؤلاء مدسوط في موضع آخر ، في رد تعارض العقل والنقل وغيره ، فإن كفر هؤلاء أعظم من كفر اليهود والنصارى ، بل ومشركي العرب ، فإن جميع هؤلاء يقولون إن الله خلق السموات والأرض ، وإنه خلق المخلوقات بمشيئته وقدرته

وأرسطو ومحوه من المنفعة واليونان ، كانوا يمدون الكواكب والأصنام ، وهم يمدون الملائكة والأنبياء ، وليس في كتب أرسطو ذكر شيء من ذلك ، وإنما غالب علوم القوم الأولين الطبيعية .

وأما الأمور الإلهية ، فكل منهم فيها قليل الصواب ، كثير الخطأ ، واليهود والنصارى بعد النسخ والتبديل أعلم بالحقائق منهم

كثير، ولكن متأخروهم كان سينا [وغيره] رادوا أن يلقوا بهن كلام أولئك
وبين ما جاءت به الرسل ، فأخذوا أشياء من أصول الجهمية والمعتزلة ،
وركبوا مذهباً قد يمتزى إليه متفاسفة أهل الملل ، وفيه من الفساد
والتناقض ما قد بها على نفسه في غير هذا الموضع

وهؤلاء لما رأوا أمر الرسل ، كوسى وعيسى ومحمد ﷺ قد
سهر العالم ، واعترفوا بالناموس الذي سبب به محمد ﷺ ، أعظم ناموس
طرق العالم ، ووجدوا الأنبياء قد ذكروا الملائكة والجن ، أرادوا
أن يجمعوا بين ذلك ، وبين أقوال سلفهم اليونان ، الذين هم أمد الخلق
عن معرفة الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وأولئك قد
أثبتوا عقولاً عشرة ، يسمونها المحردات ، والمعارقات

وأصل ذلك مأخوذ من مفارقة النفس للبدن ، وسموا تلك
المعارقات ، لمعارقتها المادة ، ونحردها عنها وأثبتوا الأفلاك لكل ملك
نفساً ، وأكثرهم جعلوها أصراً ، وبعضهم جعلها جواهر

وهذه المحردات التي أثبتوها ، ترجع عند التحقيق إلى أمور
موجودة في الأذهان ، لا في الأعيان [كما أثبت أصحاب فيثاغورس
أعداداً مجردة ، و] كما أثبت أصحاب أفلاطون الأمثال الأفلاطونية
المجردة ، أثبتوا هبولى مجردة عن الصورة ، ومدة وحلاء مجردين ، وقد

اعترف حدّاقهم ، بأن ذلك إما يتحقق في الأذهان ، لا في الأعيان ؛
فلما أراد هؤلاء المتأخرون منهم ، كاس -ينا ، أن يثبت أمر النبوات
على أصولهم العاسدة ، زعموا أن النبوة لها خصائص ثلاثة ، من انصف
بها فهو بي

١ - أن تكون له قوة عليه ، بسموها القوة القدسية ، يال
بها العلم بلا تعلم

٢ - وأن يكون له قوة تخيلية ، تحيل له ما يعقل في نفسه ،
بحيث يرى في نفسه صوراً ، أو يسمع في نفسه أصواتاً ، كما يراه النائم
وبسمه ، ولا يكون لها وجود في الخارج ، وزعموا أن ملك الصور
هي ملائكة الله ، وتلك الأصوات هي كلام الله تعالى

٣ - وأن يكون له قوة فعّالة ، يؤثر بها في هيولى العالم ،
وجعلوا محركات الأنبياء ، وكرامات الأولياء ، وخوارق السحرة ،
هي [من] قوى الأنفس ، فأقروا من ذلك بما يوفق أصولهم ، من
قلب المصاحبة ، دون اشفاق القمر وبحو ذلك ، فانهم يكرون
وجود هذا .

وقد بسطنا الكلام على هؤلاء في مواضع ، وبيننا أن كلامهم هذا
أفسد الكلام ، وأن هذا الذي جعلوه من خصائص النبي تحصيل ما هو

أعظم منه لا آحاد العامة، ولا تباع الأنبياء، وأن الملائكة التي أخرجت
سها الرسل، أحياء ناطقون أعظم مخلوقات الله، وهم كثيرون، كما قال
نعماني: (وما يعلم جدود ربك إلا هو) ^(١) وليسوا عشرة، وإيسوا
أعراصاً، لا سيما وهؤلاء يزعمون أن المصادر الأول هو العقل
لأول، وعنه صدر كل مادونه، والعقل العقل العاشر، رب كل ما تحت
ذلك القمر.

وهذا كله بطم فساد بالاضطرار من دين لرسول، وليس أحد
من الملائكة مبدع لكل ما سوى الله وهؤلاء يزعمون أن العقل
المذكور في حديث يروي: «إن أول ما خلق الله العقل، فقال له:
قل، فأقبل، فقال له: أدبر، فأدبر، فقال: وعزتي ما خلقت خلقاً
أكرم علي منك، فسك أحد، وبك أعطي، ولك الثواب وعليك
العقاب» وبسموه أيضاً القلم لما روي: «إن أول ما خلق الله القلم»
الحديث رواه الترمذي ^(٢)

والحديث الذي ذكره في العقل كذب موضوع عند أهل
المعرفة بالحديث، كما ذكر ذلك أبو حاتم النسفي، والدارقطني، وابن
الحوزي، وغيرهم. وليس في شيء من دواوين الحديث التي يعتمد عليها،

(١) سورة المدثر، الآية: ٣١

(٢) وهو حديث صحيح أخرجه أحمد، والترمذي وصححه.

ومع هذا فلفظه لو كان نائناً حجة عليهم ، فإن لفظه « أول ما خلق الله تعالى العقل » قال : - و يروى - « ما خلق الله العقل قال له . » (١) ، فمضى الحديث أنه خاطبه في أول أوقات خلقه ، وليس معناه أنه أول المخلوقات (وأول) منصوب على الظرف كما في اللفظ الآخر (لا) وتعام الحديث « ما حلفت خلقاً أكرم علي منك » فهذا يقتضي أنه خلق قبل غيره ، ثم قال « وبك آحد ، وبك أعطي ، وبك الثواب ، وعليك العقاب » وذكر أربعة أنواع من الأضرار . وعندم أن جميع جواهر العالم الملوئ والسفلي صدر عن ذلك العقل فأي هذا من هذا ؟

وسبب غلطهم أن لفظ العقل في لغة المسلمين ليس هو لفظ العقل في لغة هؤلاء اليونان ، من العقل في لغة المسلمين مصدر عقل

(١) أخرج عبد الله بن الإمام أحمد في « روائد المسند » قال : حدثنا علي بن مسلم ، حدثنا سيار ، حدثنا حمير ، حدثنا مالك بن دينار عن الحسن بن برمجة . « ما خلق الله تعالى العقل قال له أقبل فأقبل ، ثم قال له : أدر فأدر . قال : ما حلفت خلقاً أحب إلي منك . بك آحد وبك أعطي » وهو مرسل وهو في « معجم الطبراني الأوسط » موصول من حديث أبي أسامة وأبي هريرة « بسنادين صحيحين » ، وما يحسن التنبه عليه أن كل ما ورد في فضل العقل من الأحاديث لا يصح منها شيء ، وهي تنور بين الضعف والوضع .

وقد أخرج الحارث بن أبي أسامة في « مستدركه » عن داود بن المغيرة بصاً وثلاثين حديثاً في فضل العقل . قال الحافظ ابن حجر : كلها موضوعة . وقال ابن القيم في « المنار » ص (٢٥) أحاديث العقل كلها كذب .

يعقل عقلاً ، كما في القرآن (وقالو لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير)^(١) (إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون)^(٢) (أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها)^(٣) ويراد بالعقل البريرة التي جعلها الله تعالى في الإنسان يعقل بها

وأما أولئك ، فالعقل عندهم جوهر قائم بنفسه كالعقل ، وليس هذا مطابقاً لسنة الرسل والقرآن ، وعالم الخلق عندهم كما يذكره أبو حامد عالم الأجسام العقل والنفوس ، فيسميها عالم الأحرار ، وقد يسمى (العقل) عالم الحبروت (والنفوس عالم الملكوت ، و(الأجسام) عالم الملك ، ويظن من لم يعرف لغة الرسل ولم يعرف معنى الكتاب والسنة أن ما في الكتاب والسنة من ذكر الملك والملكوت والحبروت موافق لهذا ، وليس الأمر كذلك .

وهؤلاء يلبسون على المسلمين تلبساً كثيراً كاطلاقهم أن ذلك محدث ، أي معلول ، مع أنه قديم عندهم ، والمحدث لا يكون إلا مسبوقاً بالقديم ، ليس في لغة العرب ولا في لغة أحد أنه يسمى القديم الأزلي :

(٢) سورة الرعد ، الآية ٤

(١) سورة تبارك ، الآية ١٠

(٣) سورة الحج ، الآية ٤٦

محدثنا، والله قد أخبر أنه خالق كل شيء وكل مخلوق فهو محدث، وكل محدث كائن بعد أن لم يكن، لكن ناظرهم أهل الكلام من الجهمية والمتزلة مناظرة قاصرة لم يعرفوا بها ما أخبر به الرسول، ولا أحكموا فيها قضايا المقول، فلا للإسلام بصروا، ولا للأعداء كسروا، وشاركوا أولئك في بعض قضاياهم الفاسدة، وازدهروا في بعض المقولات الصحيحة، فصار قصور هؤلاء في العلوم السمعية والعقلية من أسباب قوة ضلال أولئك، كما قد سط في غير هذا الموضع

وهؤلاء المتفلسفة قد يحملون جبريل هو الخيال الذي يتشكل في نفس النبي ﷺ، والخيال تابع للعقل، فجاء الملاحدة الذين شاركوا هؤلاء الملاحدة المتفلسفة وزعموا أنهم أولياء الله، وأن أولياء الله أفضل من أنبياء الله، وأنهم يأخذون عن الله بلا واسطة، كاس عربي صاحب «الفنوحات» و«العصوص» فقال: إنه يأخذ من الممدن الذي أخذ منه الملك الذي يوحى به إلى الرسول، والممدن عنده هو العقل، والملك هو الخيال، والخيال تابع للعقل، وهو برعه يأخذ من الذي هو أصل الخيال، والرسول يأخذ من الخيال، فلهذا صار عند نفسه فوق النبي، ولو كان حاسة التي ما ذكروه، ولم يكن هو من جنسه، فصلاً عن أن يكون فوقه، فكيف وما ذكروه يحصل لآحاد المؤمنين، والبصيرة أمر وراء ذلك، فإن ابن عربي وأمثاله وإن ادعوا أنهم من

الصوفية، فهم من صوفية الملاحدة الفلاسفة، ليسوا من صوفية أهل العلم، فضلاً عن أن يكونوا من مشايخ أهل الكتاب والسنة، كالفضيل بن عياض، وإبراهيم بن آدم، وأبي سليمان الداراني، ومرووف الكرخي، والحفيد بن محمد، وسهل بن عبد الله التستري، وأمثالهم رصوان الله عليهم أجمعين، والله سبحانه وتعالى قد وصف الملائكة في كتابه بصفات نبأ قول هؤلاء، كقوله تعالى: (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون . لم يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشعرون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك يحزبه جهنم كذلك نجري الظالمين) ^(١) وقال تعالى: (وكم من ملك في السموات لا نحى شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) ^(٢) وقال تعالى: (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيها من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) ^(٣) وقال تعالى: (وله من في السموات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون . يسبحون الليل والنهار لا يفترون) ^(٤).

(١) سورة الأنبياء، الآيات: ٢٦-٢٩ (٢) سورة النعم، الآية: ٢٦

(٣) سورة سبأ، آيات: ٢٢، ٢٣ (٤) سورة الأنبياء، آيات: ١٩، ٢٠

وقد أخبر أن الملائكة جاءت إبراهيم عليه السلام في صورة البشر، وأن الملك تمثل لمريم بشراً سوياً، وكان جبريل عليه السلام يأتي الذي ﷺ في صورة دحية الكلبي، وفي صورة أعرجاني، ويرام الناس كذلك.

وقد وصف الله تعالى جبريل عليه السلام بأنه ذو قوة (عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين) ^(١) وأن محمداً ﷺ (رآه بالأنف الميس) ^(٢) ووصفه بأنه (شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالأنف الأعلى ثم دافئ دلى. فكان قاب قوسين أو أدنى. فأوحى إلى عبده ما أوحى. ما كذب الفؤاد ما رأى أفتأرونه على ما يرى. ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى. إذ ينشئ السدرة ما ينشئ مراع البصر وما طفى. لقد رآه من آيات ربه الكبرى) ^(٣).

وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ أنه لم ير جبريل في صورته التي خلق عليها غير مرتين، يعني المرة الأولى بالأنف الأعلى، والمرة الأخرى عند سدرة المنتهى ووصف جبريل عليه السلام في موضع آخر بأنه الروح الأمين، وأنه روح

(١) سورة التكوير، الآيات: ٢٠-٢١ (٢) سورة التكوير، الآية ٢٣

(٣) سورة النجم، الآيات ٥٠-١٨

القدس ، إلى غير ذلك من الصفات التي نؤمن أنه من أعظم مخلوقات الله تعالى الأحياء العقلاء ، وأنه جوهر قائم بنفسه ، ليس خيالياً في نفس الذي . كما زعم هؤلاء الملاحدة المتعلقة . والمدعون ولاية الله وأنهم أعلم من الأنبياء .

وغاية حقيقة هؤلاء إكار أصول الإيمان ، بأن يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وحقيقة أمرهم جحد الخالق ، فإنهم جعلوا وجود المخلوق هو وجود الخالق ، وقالوا : الوجود واحد ، ولم يميزوا بين الواحد بالعين والواحد بالنوع ، أن الموجودات تشترك في مسمى الوجود ، كما تشترك الأناسي في مسمى الانسان ، والحيوانات في مسمى الحيوان . ولكن هذا المشترك الكلبي لا يكون مشتركاً كلياً إلا في الذهن ، وإلا فالحيوانية القائمة بهذا الانسان ليست هي الحيوانية القائمة بالفرس ، ووجود السباع ليس هو عينه وجود الانسان ، فوجود الخالق حل جلاله ليس هو كوجود مخلوقاته

وحقيقة قولهم ، قول مرعون الذي عطل الصانع ، فإنه لم يكن منكراً هذا الوجود والمشهود ، لكن زعم أنه موجود بنفسه ، لا صانع له ، وهؤلاء وافقوه في ذلك ، لكن زعموا بأنه هو الله ، فكانوا أضل منه ، وإن كان قوله هذا هو أظهر فساداً منهم ، ولهذا جعلوا عبادة

الاصنام ماعدوا إلا الله ، وقالوا لما كان فرعون في منصب التحكيم صاحب السيف - وإن جار في العرف التناؤس - لذلك قال : أماركم الأتلى - أي وإن كان الكل أرباباً بنسبة ما ، فأما الأتلى منكم ع أعطينه في الظاهر من الحكم فيكم .

قالوا ولما صمت السحرة صدق فرعون فيما قاله ، أقرؤا له بذلك وقالوا : (انص ما أنت قاض إننا نقصي هذه الحياة)^(١) قالوا فصيح قول فرعون : (أماركم الأتلى)^(٢)

وكان فرعون عب الحق ، ثم أنكر وأحقيقه اليوم الآخر ، فمجلوا أهل النار بنشئون كما بنتم أهل الجنة ، فصاروا كافرين بالله واليوم الآخر ، وعلائكته وكنه ورسله ، مع دعوائهم أنهم خلاصة خاصة الخاصة من أهل ولاية الله ، وأنهم أفضل من الأنبياء وأن الأنبياء إنما يعرفون الله من مشكاتهم .

وليس هذا موضع بسط إلحاد هؤلاء ، ولكن لما كان الكلام في أولياء الله ، والفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، وكان هؤلاء من أعظم الناس ادعاء لولاية الله ، وهم أعظم الناس ولاية للشيطان ، نهنا على ذلك ، ولهدامة كلامهم ، إغما هو في الحالات

(١) سورة طه ، الآية ٧٢ (٢) سورة الناعار ، الآية ٢٤

الشيطانية ، ويقولون ما قاله صاحب « الفنوحات » (باب أرض الحقيقة)
ويقولون : هي أرض الخيال

فتعرف بأن الحقيقة التي يتكلم فيها هي خيال ، وعمل تصرف
الشیطان ، فإن الشيطان يحيل للأنسان الأمور بخلاف ما هي

قال تعالى : (ومن يشك عن ذكر الرحمن فبعض له شيطاناً فهو
له قرين وإلهم ليصدونهم عن السبيل ويحسون أنهم مهتدون حتى
إذا جاء ما قال باليت يبي ويدك بعد المشرقين فبئس القرين ولن
ينفعكم اليوم إذ ظننتم أنكم في العذاب مشتركون)^(١) وقال تعالى :
(إن الله لا يفتقر أن يشركه وبمع ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك
بالله فقد صلا صلاتاً مبذراً)^(٢) إلى قوله (بدم وبغيبهم وما بعدهم
الشیطان إلا غروراً)^(٣) وقال تعالى : (وقال الشيطان لما قضي الأمر
إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفنكم وما كان لي عليكم من
سلطان إلا أن دعوتكم فاستجنت لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم
ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرحي إني كبرت بما أشركتمون من
قبل إن الظالمين عذاب أليم)^(٤) وقال تعالى (وإذ زين لهم الشيطان
أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت

(١) سورة الزحرف ، الآيات ٣٦ - ٣٩ (٢) سورة النساء ، الآية : ١١٦

(٣) سورة النساء ، الآية : ١٢٠ (٤) سورة إبراهيم ، الآية : ٢٢

الفتنان كخص على عقبه وقال إني ربي منكم إني أرى ما لا ترون
إني أخاف الله والله شديد العقاب^(١)

وقد روي عن النبي ﷺ في الحديث الصحيح : أنه رأى
جبريل بزعم الملائكة^(٢) ، والشياطين إذا رأت ملائكة الله التي يؤيد
بها عباده هربت منهم ، والله يؤيد عباده المؤمنين بملائكته

قال تعالى : (إذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم فننزل القرآن
آمنوا)^(٣) وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ
جاءكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا و جنود آلهم تروها)^(٤) وقال تعالى : (إذ
يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأرسل الله مكنيته عليه وأيده
بجنود لم تروها)^(٥) وقال تعالى : (إذ نقول للمؤمنين ألن بكفيكم أن
يعدكم ربكم ثلاثة آلاف من الملائكة منزّلين بل لئن تصبروا

(١) سورة الاحزاب ، الآية : ٤٨

(٢) في « موطأ مالك » باب جامع الخبيث ، عن طلحة بن عبيد الله عن كريب أن
رسول الله ﷺ قال : ما رؤي الشيطان يوما هو فيه أصغر ولا أدهر ولا أحقر
ولا أعظم منه في يوم عرفة ، وما ذلك إلا ما رأى من نور الرحمة ، ومحاور الله
عن لذنوب العظيم إلا ما أرى يوم بدر قيل : وما رأتى يوم بدر يا رسول الله ؟
قال : وأما إنه قد رأى جبريل يرح الملائكة ، أي يصفهم للقتال وهو حديث مرسل .

(٣) سورة الاحمال ، الآية : ١٣ (٤) سورة الاحزاب ، الآية : ٩

(٥) سورة التوبة ، الآية : ٤٠

وتنقوا وياؤكم من فورم هذا بمددكم ربكم خمسة آلاف من الملائكة مسومين^(١)

وهؤلاء، ثانیهم أرواح نخطهم وتمثل لهم، وهي جن وشياطين، فيظنونها ملائكة، كالأرواح التي نخطط من بعيد الكواكب والأصنام

وكان من أول ما ظهر من هؤلاء في الإسلام : المختار بن أبي عبيد الذي أخبر به النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم في « صحيحه » عن النبي ﷺ أنه قال : « سيكون في تقيف كذاب ومسر^(٢) » وكان الكذاب : المختار بن أبي عبيد ، والمبير : الحجاج بن يوسف فقيل لابن عمر وابن عباس إن المختار يزعم أنه ينزل إليه ، فقالا : صدق ، قال الله تعالى (هل أشكم على من تنزل الشياطين) تنزل على كل أفك أنيم^(٣) .

وقال الآخر : وقيل له إن المختار يزعم أنه يوحى إليه ، فقال : قال الله تعالى : (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليعادلوكم)^(٤) .

(١) سورة آل عمران ، الآيات : ١٧٤ ، ١٩٥

(٢) رواه مسلم لفظ : « أن في تقيف كذاباً ومبيراً » والمبير : المهلك .

(٣) سورة الشعراء ، الآيات : ٢٢١ ، ٢٢٢

(٤) سورة الاسام ، الآية : ١٢١

وهذه الأرواح الشيطانية ، هي الروح الذي يرغم صاحب
 « الفتوحات » أنه ألقى إليه ذلك الكتاب ، ولهذا يذكر أنواعاً من
 الخلوات بطعام معين ، وشي معين ، وهذه مما نفع لصاحبها اتصالاً
 بالجن والشياطين ، فيطنون ذلك من كرامات الأنبياء ، وإعماهم من
 الأحوال الشيطانية ، وأعرف من هؤلاء عدداً ، ومنهم من كان يحمل
 في الهواء إلى مكان بعيد ويعود ، ومنهم من كان يؤتى بحال مسروق ،
 تسرقه الشياطين وتأتيه به ، ومنهم من كانت تدله على السرقات بحمل
 يحصل له من الناس أو لطاء يعطونه إذا دلهم على سرقاتهم ويحو
 ذلك .

ولما كانت أحوال هؤلاء شيطانية ؛ كانوا ماقضين للرسول
 صلوات الله تعالى وسلامه عليهم ، كما يوجد في كلام صاحب « الفتوحات
 المكينة » وهه الفصوص ، وأشياء ذلك بمدح الكفار ، مثل قوم نوح وهود
 وفرعون وغيرهم ، وينقص الأنبياء ، كنوح وإبراهيم وموسى وهارون ،
 ويذم شيوخ المسلمين المحمودين عند المسلمين ، كالحنيد بن محمد ، وسهل
 بن عبد الله التستري وأمثالهما ، ومدح المذمومين عند المسلمين ،
 كالحلاج ومحوه ؛ كما ذكره في تجلياته الخيالية الشيطانية ، فإن الحنيد
 - قدس الله روحه - كان من أئمة الهدى ، فستل من التوحيد فقال :

التوحيد إفراد الحدوث عن القدم فيبين أن التوحيد أن يميز بين القديم والمحدث، وبين الخالق والمخلوق.

وصاحب الفصوص، أنكر هذا وقال في مخاطبته الخبيالية لشيطنية له. يا جليل أهل يميز بين المحدث والقديم إلا من يكون غيرهما، فخطأ الخبيد في قوله: إفراد الحدوث عن القدم، لأن قوله هو: إن وجود المحدث هو عين وجود القديم، كما قاله في «فصوصه». ومن أسمائه الحسنى (الملي) على من؟ وما ثم؟ إلا هو وعن ماذا؟ وما هو إلا هو، فلو أنه نفسه وهو عين الموحودات، فالمسمى بمحدثات، هي العملية لذاتها، وليست إلا هو إلى أن قال:

هو عين ما نطق، وهو عين ما ظهر، وما ثم من يراه غيره، وما ثم من ينطق عنه سواء، وهو المسمى أبو سعيد الخراز، وغير ذلك من الأسماء المحدثات

فيقال لهذا الملاحد: من شرط المميز بين الشينين بالعلم والقول أن يكون ثالثاً غيرهما، فإن كل واحد من الناس يميز بين نفسه وغيره، وليس هو ثالثاً، فالمد بمرقه أنه عبد، ويميز بين نفسه خالقه، والخالق جل جلاله يميز بين نفسه وبين مخلوقاته، ويعلم أنه ربهم، وأهم عباده، كما نطق بذلك القرآن في غير موضع، والاستشهاد بالقرآن عند المؤمنين الذين بقرون به طائفاً وظاهراً.

وأما هؤلاء الملاحدة فيزعمون ما كان يزعمه النسطائي منهم ؛
وهو أحدهم في اتحادهم لما قرئ عليه « الفصوص » فقيل له :
القرآن يخالف « فصوصكم » فقال القرآن كله شرك ، وإنما التوحيد
من كلامنا . فقيل له فإذا كان الوجود واحداً ، فلم كانت الزوجة حلالاً
والأخت حراماً ؟ فقال الكل عندنا حلال ، ولكن هؤلاء المحجورون
قالوا : حرام ، فقلنا : حرام عليكم

وهذا مع كفره العظيم متناه من مظاهر ، فإن الوجود إذا كان
واحداً ، فمن المحجوب ومن المحاب ؟ ولهذا قال شيوخهم لريده :
من قال لك : إن في الكون سوى الله فقد كذب . فقال له صريده : فمن
هو الذي يكذب ؟ وقالوا الآخر . هذه مظاهر . فقال لهم : المظاهر
غير المظاهر ، أم هي ؟ فإن كانت غيرها فقد قدم بالمسبة ، وإن كانت إياها
فلا فرق .

ولقد سطنا الكلام على كشف أسرار هؤلاء في موضع آخر ؛
وبنا حقيقة قول كل واحد منهم ، وإن صاحب « الفصوص » بقول :
الممدوم شيء ، ووجود الحق قاض عليها ، فيفرق بين الوجود
والثبوت .

والمعتزلة الذين قالوا : الممدوم شيء ثابت في الخارج مع ضلالهم

خير منه، فإنَّ وأنتك قالوا إنَّ الرب خلق لهذه الاشياء النشأة في اعدم وجوداً ليس هو وجود الرب، وهذا رغم أن عين وجود الرب فاض عليهما، فليس عنده وجود مخلوق مبين لوجود الخلق، وصاحبه المصدر القانوني يفرق بين المطلق والمبين، لأنه كان أقرب إلى المسسفة، فم يقرر بأن الممدوم شيء، لكن جعل الحق هو الوجود المطلق، وصنف مفتاح غيب الجمع والوجود

وهذا لقول أدخل في تمطيل الخلق وعدمه، فإن المطلق شرط الإطلاق، وهو الكلي المفعلي، لا يكون إلا في الأدهم لا في لا عيان، والمطلق لا بشرط، وهو الكلي الطبيعي وإنت قبل إنه موجود في الخارج، فلا يوجد في الخارج إلا معيها، وهو حره من المعين عند من يقول شئونه في الخارج، فيرم أن يكون وجود الرب، إما منتعياً في الخارج، وإما أن يكون حره آمن وجود لمخلوقات، وإما أن يكون عين وجود لمخلوقات وهو يحق الحره الكل أم يحق الشئ نفسه ؟ أم المدم لمخلق الوجود ؟ أو يكون مص الشئ خالقاً لجميعه ؟

وهؤلاء يرون من لفظ الحلول لأنه يقتضي حالاً ومحللاً، ومن لفظ الاتحاد، لأنه يقتضي شئين متحد أحدهما بالآخر، وعندم الوجود

واحد ويقولون الصارى كفرو ما حصصوا لمسيح بأنه هو الله ،
ولو عمو لم كفروا

وكذلك يقولون في عباد الأصنام إننا أخطأوا لما عبدوا بعض
المظاهر دون مص «لو عبدوا لجميع لما أخطأوا عديم والعارف لتحقيق
عندهم لا نصره عبادة الأصنام

وهذا مع ما به من الكفر العظيم فعبه ما يبرهم دائماً من اننا نحن ،
لأنه يقال لهم من المخصي ؟ فكهم يقولون إن الرب هو الموصوف
بجميع الصفات التي يوصف بها المخلوق ويقولون إن المخلوقات توصف
بجميع الكالات التي يوصف بها الخلق ويقولون ما قاله صاحب
«العصوص» فالعلي لنفسه هو الذي يكون له الكمال الذي يستوعب به
جميع السمات الوجودية والنسب المدمية ، سواء كانت محدودة عرفاً أو
عقلاً أو شرعاً ، أو مدمومة عرفاً وعقلاً وشرعاً ، وليس ذلك إلا
لمسمى الله خاصة

وعم مع كفرهم هذا لا يدفع عنهم التناقض ، فإنه معلوم بالحق
والعقل أن هذا ليس هو ذلك ، وهؤلاء يقولون ما كان يقوله البصافي
إنه ثبت عندنا في الكشف ما يناقض صريح العقل ويقولون - من
أراد التحقيق - بمى تحقيقهم - فليترك العقل والشرع
وقد قلت لمن خاطبته منهم : ومعلوم أن كشف الأنبياء أعظم

وأثم من كشف عيبره ، وجبرم صدق من حرم غيرهم ، والأنبيا صلوات الله وسلامه عليهم يحرمون ، تمحر عقول الناس عن معرفته لا بما يعرف الناس بقولهم أنه ممنوع ، فيجربون بحجرات العقول لأعمال العقول ، ويمتنع أن يكور في أخبار الرسول ما ناقض صريح العقول ، ويمتنع أن يمارض دليلاً قطعيان ، سواء كانا عقليين أو سمعيين ، أو كان أحدهما عقلياً والآخر سمعياً ، فكيف بمن ادعى كشفاً يناقض صريح الشرع والعقل ؟

وهؤلاء قد لا يمدون الكذب ، لكن يحيل لهم أشياء تكون في نفوسهم وبظنونها في الخارج ، وأشياء يرونها تكون موجودة في الخارج لكن يظنونها من كرامات العمالخين ، وتكون من تلبسات لشیاطین

وهؤلاء الذين يقولون بالوحدة قد يقاتلون الأولياء على الأنبياء ، ويدكرون أن النبوة لم تقطع ، كما يذكر عن ابن سمين وعبيد ، ويحملون المراتب الثلاثة يقولون العبد يشهد أولاً طاعة ومعية ، ثم طاعة بلا معصية ، ثم لا طاعة ولا معصية ، والشهود الأول هو الشهود الصحيح ، وهو الفرق بين الطاعات والمعاصي ، وأما الشهود الثاني ، فيريدون به شهود القدر ، كما أن بعض هؤلاء يقول أنا كافر برب

بمعنى، وهذا يرغم أن المعصية مخالفة للإرادة التي هي المشيئة، والخلق
كلهم داخلون تحت حكم المشيئة وبقول شاعرهم .

أصحت منفعلاً لما تحاره مي دفع لي كله طامات

ومعلوم أن هذا خلاف ما أرسل الله به رسوله وأمر به كذبه ،
فإن المعصية التي يستحق صاحبها الدم والعقاب، بخلافه أمر الله ورسوله ،
كما قال تعالى : (تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات
 تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك العور العظيم ومن يعص
الله ورسوله وتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين)^(١)
وسندكر الفرق بين الإرادة الكونية ولدينية ، والأمر الكوني
والديني

وكانت هذه المسألة قد اشتمت على طائفة من الصوفية، فبينما
الحنيد رحمه الله لهم ، فمن اسع الحنيد فيها كان على السداد ، ومن خالفه
صل ، لأنهم تكلموا بأن الأمور كلها بمشيئة الله وقدرته وفي شهود
هذا التوحيد، وهذا يسمونه الجمع الأول، فبين لهم الحنيد أنه لا بد من
شهود الفرق الثاني ، وهو أنه مع شهود كون الأشياء كلها مشتركة في
مشيئة الله وقدرته وحقيقته، يحب الفرق بين ما يأمر به ويحبه ويرضاه ،
وبين ما ينهى عنه ويكرهه وبسخطه ، وبفرق بين أولياته وأعدائه، كما

قال تعالى : (« يجعل المسمين كالمحرمين ما لكم كيف تحكمون »)^(١)
 وقال تعالى : (« ثم يحسن الدين آمنوا و عملوا الصالحات كالمسلمين في
 لأرض أم يجعل لمقين كافجاء »)^(٢) وقال تعالى (« أم حسب الدين
 جترحوا السيئات أن نجعلهم كالمؤمنين آمنوا و عملوا الصالحات سواء
 عبادهم و مما بينهم سواء ما يحكمون »)^(٣) وقال تعالى . (« وما يستوي الأنبياء
 والبصير والدين آمنوا و عملوا الصالحات ولا اله الا الله قليلاً
 ما تذكرون »)^(٤)

ولهذا كان مذهب سلف لائمه و تائها أن الله خالق كل شيء
 وربه و مبيكه ، ما شاء كان و ما لم يشأ لم يكن ، لا رب غيره ، و هو مع
 ذلك أمر باطاعة ، و سى عن المنصبة و هو لا يحب الفساد ، ولا
 يرصى لعباده الكفر ، ولا بأمر بالعشاه ، و إن كانت واقعة بعشيتته ،
 فهو لا يحبها ، ولا يرضاها ، بل ينفصها و يدم أهلها و مافهم
 و أما المرة الثالثة أن لا يشهد ضاعة و لا منصبة ، انه يرى
 أن الوجود واحد ، و عديم أن هداغية التحقيق والولاية لله ؛ و هو
 في الحقيقة عية لا لحاد في اسمه الله وآياته ، و عية المداوة لله ، فمن

(١) سورة القم ، آيات ٣٥ ، ٣٦ (٢) سورة مر ، الآية - ٢٨

(٣) سورة الحثية ، الآية ٢١ (٤) سورة عامر ، الآية - ٥٨

صاحب هذا الشهيد يتخذ اليهود والنصارى وسائر الكفار أولياء ،
وقد قال تعالى (ومن بنوائهم معكم فانه معهم)^(١) ولا يتراء من
الشرك ولا يؤنان فيخرج عن ملة إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه
عليه ، قال الله تعالى (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين
معه إذ قالوا القومهم إنا ربكم ومما نعبدون من دون الله كعربناكم
وبدا يبينوا بيبكم لعدوة والمعصاة أبدأ حتى تؤمنوا بالله وحده)^(٢) ،
وقال الخليل عليه السلام اقومه لمتبركين (قرأتم ما كنتم تعبدون
أنتم وآبؤكم إلا أقدمون قاهم عدو لي إلا رب العالمين)^(٣) ، وقال
تعالى (لا تحذقوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد
الله ورسوله ولو كان آباءهم أو أبنائهم أو إخوانهم أو عشيرتهم وإنيك
كتب في قلوبهم الإيمان وكتبهم روح منه)^(٤) ، وهو لا قد صنف
بعضهم كتباً وفصائد على مذهبه ، مثل قصيدة من الفراض المسماة
بنظم السلوك ، يقول فيها :

لها صلواتي في المقام أقيمها وشهد فيها أنها لي صائت
كلانا مصل واحد ساجد إلى حقيقته بالجمع في كل سجدة
وما كان لي صلي سواي ولم تكن صلاتي لميري في أدا كل ركعة

(١) سورة المائدة ، آية ٥١ (٢) سورة الممتحنة ، الآية : ٤

(٣) سورة الشعراء ، الآيات : ٧٥-٧٧ (٤) سورة المائدة ، آية : ٢٢

إلى أن قال -

وما زلت إياها وإياي لم نزل ولا فرق لي داني لداني صلت
إلي رسولاً كنت ميّراً - لا وداني بآبائي عليّ استدلت
فإن دعيت كنت لجيب وإن أكن
منادى أجاب من دعائي ولبت

إلى منزل هذا الكلام ، ولهذا كان هذا القائل عند الموت
يشدد ويقول -

إن كان منزاتي في الحب عندكم ما قد تغيب فقد صيغت أبيي
أمية ظفرت نهي بها رماً واليوم أحسها نضعات أحلامي
فانه كان يظن أنه هو الله ، فلما حصرته ملائكة الله لفص
روحه تبين بطلان ما كان يظنه ، وقال الله تعالى (سُبْحَ اللَّهِ مَا فِي
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (١) ، فجميع ما في السماوات
والأرض يسبح لله ، ليس هو الله ، ثم قال تعالى (له ملك السماوات
والأرض يحیی ويحيي ويميت وهو على كل شيء قدير هو الأول والآخر
والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم) (٢)

(١) سورة الحديد ، آية ١ . (٢) سورة الحديد ، آيات ٣ ، ٤ ، ٥

وفي « صحيح مسلم » عن النبي ﷺ أنه كان يقول في دعائه :
 « اللهم رب السموات السبع ورب المرش العظيم ، ربنا ورب كل
 شيء ، فائق الحب والنوى ، منزل النوراة والانبجبل والقرآن ، أعوذ بك
 من شر كل دابة أنت آخذ بسيئتها أنت الأول فليس قبلك شيء ،
 وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت
 الباطن فليس دونك شيء » المنص عي لدن ، وأعني من العقر ،
 ثم قال (هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم
 استوى على المرش يعلم ما ينج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل
 من السماء وما يمرح فيها وهو معكم أبما كنتم والله لا تعملون
 بصير)^(١) فذكر أن السموات والأرض ، وفي موضع آخر : (وما
 بينهما) بحوق مسبح له ، وأخر سبحانه أنه يعلم كل شيء
 وأما قوله (وهو معكم) فلفظ (مع) لا تقتضي في لغة العرب
 أن يكون أحد الشبطين مخلطاً بالآخر ، كقوله تعالى (اتقوا الله
 وكونوا مع الصادقين)^(٢) ، وقوله تعالى (محمد رسول الله ولدين
 معه أشد على الكفار)^(٣) ، وقوله تعالى (والذين آمنوا من بعد
 وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك معكم)^(٤) ، ولفظ (مع) جاءت

(١) سورة الحديد ، آية ٤٠ (٢) سورة التوبة ، الآية : ١١٩

(٣) سورة الفتح ، آية : ١٩ (٤) سورة الأنفال ، الآية : ٧٥

في القرآن عامة وخاصة ، فالعامة في هذه الآية وفي آية المحادلة : (لم
 تر أن الله يمدم ما في السماوات وما في الأرض ما يكون من نحوى
 ثلاثة إلا هو راسعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك
 ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينتههم عما عملوا يوم القيامة إن الله
 بكل شيء عليم)^(١) ، فافتتح الكلام بالمد ، وختمه بالعلم ولهذا قال ابن
 عباس والضحاك وسفيان الثوري وأحمد بن حنبل : هو معهم بملءه .

وأما المعية الخاصة ، في قوله تعالى (إن الله مع الذين اتقوا
 والذين هم محسنون)^(٢) ، وقوله تعالى لموسى : (إني معكم كما أسمع
 وأرى)^(٣) ، وقال تعالى (إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا)^(٤)
 يعني النبي ﷺ وأبا بكر رضي الله عنه ، فهو مع موسى وهارون دون
 فرعون ، ومع محمد وصاحبه دون أبي جهل وغيره من أعدائه ، ومع
 الذين اتقوا والذين هم محسنون دون الظالمين المعتدين

فلو كان معنى المعية أنه يدانه في كل مكان ، ناقض الخبر الخاص
 والخبر العام ؛ بل المعنى أنه مع هؤلاء ، نصره وثأبده دون أولئك ،
 وقوله تعالى : (وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله)^(٥) أي هو

(٢) سورة العنكبوت ، الآية : ١٢٨

(١) سورة المائدة ، الآية : ٧٠

(٤) سورة التوبة ، الآية : ٤٠

(٣) سورة طه ، الآية : ٤٦

(٥) سورة الزخرف ، الآية : ٨٤

إله من في السماوات وإله من في الأرض كما قال تعالى . (وله مثل
الاعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم)^(١) ، وكذلك
قوله تعالى . (وهو الله في السماوات وفي الأرض)^(٢) ، كما عسره أئمة
العلم ، كالإمام أحمد وغيره أنه المعبود في السماوات والأرض .

وأجمع سائر الأمة وثمنها على أن لم تعالى بائن من مخلوقاته ،
يوصف بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف
ولا تعطيل ، ومن غير تحكييف ولا تشبيل ، يوصف بصفات الكمال
دون صفات النقص ، وبهم أنه ليس كمثل شي ، ولا كقوله ، في شي
من صفات الكمال ، كما قال الله تعالى . (قل هو الله أحد الله الصمد .
لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد)^(٣) قال ابن عباس : الصمد
العليم الذي كمل في علمه ، المظلم الذي كمل في عظمته ، التقدير الكامل
في قدرته ، الحكيم الكامل في حكمته ، السيد الكامل في سؤدده .

وقال ابن مسعود وغيره هو الذي لا جوف له ، والأحد الذي
لا نظير له . واسمه (الصمد) يتضمن نصابه بصفات الكمال ، وفي
النقص عنه ، واسمه (الأحد) يتضمن انصافه أنه لا مثيل له

(١) - سورة الروم ، الآية ٢٧ (٢) - سورة الأنعام ، الآية ٣٠

(٣) - سورة الأحقاف

وقد بسطنا الكلام على تفسير ذلك في هذه السورة وفي كونها
تمدل ثلث القرآن

فصل

وكثير من الناس تشبه عليهم الحماشي الأصرية الليلية الإغاية
بالحقائق الخفية القدسية الكونية ، فإن الله سبحانه وتعالى له الخلق
والأمر ، كما قال تعالى : (إن ركب الذي خلق السماوات والأرض في
سنة أيام ثم استوى على العرش ينشئ الليل النهار بطله حثيثاً والشمس
والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب
المالين)^(١) ، فهو سبحانه خالق كل شيء وربه ومبيكه ، لا خالق
غيره ، ولا رب سواه ، ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، فكل ما في
الوجود من حركة وسكون ، بقضائه وقدره ومشيبه وقدرته وخلقته ،
وهو سبحانه أمر بطاعته وطاعة رسله ، ونهى عن معصيته ومعصية
رسله ، أمر بالتوحيد وإحلاص ، ونهى عن الإشراك بالله ، فأعظم
الحسنات التوحيد ، وأعظم السيئات الشرك قال الله تعالى : (إن الله
لا يفر أن يشرك به ويفر ما دون ذلك لمن يشاء)^(٢) ، وقال تعالى :

(١) سورة الاعراف ، الآية : ٥٤ (٢) سورة النساء ، الآية : ١١٦

(ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحوسبهم كحسب الله والذين آمنوا أشد حبا لله) (١)

وفي الصحيحين ، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قلت : يا رسول الله أي الذنب أعظم ؟ قال : « أن تجمل لله بدأ وهو خلقك » قلت : ثم أي ؟ قال : « أن تقتل ولدك بحبة أن يطعم منك » قلت : ثم أي ؟ قال : « أن تزني بحيلة حارك » . فأرسل الله تصديق ذلك : (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقبلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزرون ومن فعل ذلك بيق أناماً بضاعف له العذاب يوم القيامة ويخذ فيه مهاناً) إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً) (٢)

وأمر سبحانه بالعذل والاحسان وإيتاء ذي القربى ، ونهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، وأحذر أنه يحب المقبى ، ويحب المحسنين ، ويحب المقسطين ، ويحب النواص ، ويحب المطهرين ، ويحب الذين يقابلون في سبيله صفاء كأهم بيان مرصوص ، وهو بذكره ما سبى عنه ، كما قال في سورة (سجدة) (كل ذلك كان سيئته عند ربك مكروهاً) (٣).

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٦٥ (٢) سورة الفرقان ، الآيات : ٦٨-٧٠

(٣) سورة الأسر ، الآية : ٢٨

وقد هي عن الشرك وعقوق أولادها ، وأمر بإيثار ذي القربى
الحقوق ، وهي عن النكد ، وعن المقنير ، وأن يجعل يده معلولة إلى
عقه ، وأن يمسحها كل السطح ، وهي عن قتل النفس نذير الحق ،
وعن لزما ، وعن إيمان صل ليتيم إلا ياتني هي أحسن إلى أن قال :
(كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها)^(١)

وهو سبحانه لا يحب الفساد ولا يرضى لعباده الكفر ، والعبد
مأمور أن يتوب إلى الله تعالى دائما قال الله تعالى (وتوبوا إلى الله جميعا
أيها المؤمنون لعلكم تفلحون)^(٢).

وفي « صحيح البخاري » عن النبي ﷺ أنه قال : (أيها الناس
توبوا إلى ربكم ، فوالذي نفسي بيده إني لأستغفر الله وأتوب إليه في
اليوم أكثر من سبعين مرة »

وفي « صحيح مسلم » عنه ﷺ أنه قال : « إياه ليؤمنان على قلبي
وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة »

وفي « السنن » عن ابن عمر قال : كما لعن رسول الله ﷺ في
المحاسن الواحد يقول : « رب اغفر لي وتب علي إني كنت من التواب »

(٢) سورة النور ، آية : ٣١

(١) سورة الامراء ، آية : ٣٨

غروة نبوك وهي آخر عرواته (بعد تاب الله على السي والمهاجرين
والأنصار الذين آمنوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب
فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا
حتى إذا صافت عليهم الأرض فارجحت وصافت عليهم أنفسهم
وطوا أن لا مسحاً من الله إلا إليه ثم تاب عليهم لينبؤوا إن الله هو
التواب الرحيم ^(١)) وهي من آخر ما رل من القرآن

وقد قيل إن آخر سورة نزلت قوله تعالى : (إذا جاء نصر الله
والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك
واسنمهه إنه كان نوابها) ^(٢) فأمره الله تعالى أن يحم عمله بالنسبح
والاستغفار

وفي الصحيحين « عن عائشة رضي الله عنها أنه ﷺ كان
يقول في ركوعه وسجوده « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك ، اللهم
اغفر لي » - بتأول القرآن .

وفي الصحيحين « عنه ﷺ أنه كان يقول : « اللهم اغفر لي خطيئتي
وجهلي ، وإسر في أمري ، وما أنت أعلم به مني ، اللهم اغفر لي
هزلي وحدي ، وخطئي وعمدي ، وكل ذلك عدي ، اللهم اغفر لي

(١) سورة التوبة ، الآيات : ١١٧ - ١١٨

(٢) سورة النصر

ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، لا إله إلا أنت »

وفي « الصحيحين » أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال :
يا رسول الله علمني دعاء أدعوه به في صلاتي ، قال قل « اللهم إني ظلمت
نفسى ظمأً كثيراً ولا يقر للذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك
وأرحمني إنك أنت الغفور الرحيم »

وفي « السنن » عن أبي بكر رضي الله عنه قال : يا رسول الله ا
علمني دعاء أدعوه به إذا أصبحت وإذا أمسيت ، فقال « قل اللهم فاطر
السموات والأرض عالم الغيب والشهادة ، رب كل شيء ومليكه ،
أشهد أن لا إله إلا أنت ، أعوذ بك من شر نفسي ، ومن شر الشيطان
وشركه ، وإن أتلف على نفسي سوءاً ، أو أجره إلى مسلم » قلته إذا
أصبحت وإذا أمسيت ، وإذا أخذت مضجعي^(١)

فليس لأحد أن يظن استغفاره من التوبة إلى الله ولا استغفار
من الذنوب ؛ بل كل أحد محتاج إلى ذلك دائماً قال الله تبارك وتعالى :
(وعلما الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً) ليمدب الله المنافقين والمنافقات
والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله
غفوراً رحيماً^(٢)

(١) رواه أبو داود ، والترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

(٢) سورة الأحزاب ، الآيات : ٧٢ ، ٧٣

« لا يسأل ظلم جاهل ، وغاية المؤمنين والمؤمنات التوبة ، وقد أخبر الله تعالى في كتابه توبة عباده الصالحين ومغفرته لهم ونمت في « أصبح » عن النبي ﷺ أنه قال : « لن يدخل الجنة أحد ماله » قالوا : « ولأنت يا رسول الله » قال : « ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته منه ويغسل » (١) وهذا لا ينافي قوله : (كلوا واشربوا هيناً بما أسأتم في الأيام الخالية) (٢) ، فإن رسول ﷺ هي « المقابلة والمعادلة » ، والقرآن أثبت ما السب

وتول من قال إذا أحب الله عبداً لم نضره الذنوب ، معناه أنه إذا أحب عبداً ألهمه التوبة والاستغفار فلم يضره على الذنوب ، ومن ظن أن الذنوب لا تنصر من أصر عليها ، فهو صالٌ يخالف للكتاب والسنة ، وإجماع السلف والأئمة ، بل من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره

وإنما عباده المدوحون هم المذكورون في قوله (وسارعوا إلى مغفره من رحمته وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين . الدين يفتقون في لسرته والسرته والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظهروا أنفسهم

(١) رواه البخاري ومسلم (٢) سورة الحاقة ، الآية : ٢٤

ذكروا الله فاستغفروا لدوبهم ومن ينفر الدوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون (١).

ومن ظن أن القدر حجة لأهل الدوب فهو من جنس المشركين الذين قال الله تعالى عنهم: (سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء) (٢) قال الله تعالى رداً عليهم: (كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذفوا ناساً قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تهون إلا الظن وإن أنتم إلا تحرصون قل فلاة الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين) (٣)

ولو كان القدر حجة لأحد لم يعذب الله المكذبين ليرسل، كفوم ووح وعاد ونمود والمؤنه كات، وقوم فرعون، ولم يأمر بإقامة الحدود على المعندين، ولا يمنح أحد بالقدر إلا إذا كان متبعاً لهواه غير هدى من الله، ومن رأى القدر حجة لأهل الدوب يرفع عنهم الذم والعقاب، فعليه أن لا يدم أحداً ولا يعاقبه إذا اعتدى عليه، بل يستوي عنده ما يوجب الذة وما يوجب الألم، فلا يفرق بين من يعمل ممة حيراً ولا بين من يعمل ممة شراً، وهذا ممنوع طبعاً وعقلاً وشرعاً وقد قال تعالى: (أم يحمل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض

(١) آت عمران، الآات ١٣٣-١٣٥ (٢) سورة الاسام، الآية: ١٤٨

(٣) سورة الأنعام، الآيات: ١٤٨، ١٤٩

أَمْ نَحْمِلُ الْمُنْقِبِينَ كَالْعِجَارِ) ^(١) ، وَقَالَ تَعَالَى (أَفَحْمِلُ الْمُسْلِمِينَ
كَالْجُرِمِينَ) ^(٢) ، وَقَالَ تَعَالَى (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ ابْجَرَحُوا السِّبْثَاتِ أَنْ
نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً بِحِبَابٍ وَبِمَنَاهِمِ سَاءَ مَا
يَحْكُمُونَ) ^(٣) ، وَقَالَ تَعَالَى (فَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَنَفْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا
تُورَعُونَ) ^(٤) ، وَقَالَ تَعَالَى : (يَحْسِبُ الْإِنْسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى) ^(٥)
أَيَّ مَهْمَلًا لَا يُؤْمَرُ وَلَا يُنْهَى .

وَقَدْ ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحِينَ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : «أَخْبَنُ
آدَمَ وَمُوسَى» قَالَ مُوسَى : يَا آدَمُ أَتُتُّ أَبُو الشَّرِّ ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ ،
وَوَضَعَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ ، وَأَمْسَحَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ ، أَخْرَجْتَنَا وَنَفْسَكَ مِنْ
الْحَنَةِ ، فَقَالَ لَهُ آدَمُ أَتُتُّ مُوسَى الَّذِي امْطَفَأَ اللَّهُ نَارَهُ ، وَكَتَبَ
لَكَ التَّوْرَةَ بِيَدِهِ ، فَكَمْ وَجَدْتُ مَكْنُونًا عَلَيَّ قُلْتُ أَنِّي أَحَقُّ . (وَمَعْنَى
آدَمَ رَبِّهِ فَفَوَى) ^(٦) ، قَالَ : يَا رَبِّمِ سَنَةٍ ، قَالَ : فَلَمْ تَلُومِي عَلَى أَمْرِ
قَدَّرَهُ اللَّهُ عَلَيَّ قُلْتُ أَنِّي أَحَقُّ يَا رَبِّمِ سَنَةٍ ، قَالَ : فَحُجَّ آدَمَ مُوسَى ،
أَيَّ غَلْبَةٍ بِالْحَقَّةِ .

(١) سورة ص ، الآية : ٢٨ (٢) سورة اعراف ، الآية : ٣٥

(٣) سورة الجاثية ، الآية : ٢١ (٤) سورة المؤمنون ، الآية : ١١٥

(٥) سورة القيامة ، الآية : ٣٦ (٦) سورة طه ، الآية : ١٢١

وهذا الحديث صُت في طائفتان طائفة كدَّت به لما ظنوا أنه يقتضي رفع لدم والمقاب عمن عصى لله لأجل القدر، وطائفة شر من هؤلاء جملوه حجة وقد يقولون القدر حجة لأهل الحقيقة الذين شهدوه، أو الدين لا يرون أن لهم فعلاً، ومن الناس من قال: إعمال حج آدم موسى لأنه أبوه، أو لأنه قد تاب؛ أو لأن الدب كان في شريعة والدم في أخرى، أو لأن هذا يكون في الدنيا دون الأخرى، وكل هذا باطل

ولكن وجه الحديث أن موسى عليه السلام لم يلم أباه إلا لأجل المصيبة التي لحقهم من أجل أكله من الشجرة، فقال له: لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة؟ لم يمه لجرد كونه أدب ذنباً وتاب منه، فإن موسى يعلم أن الذنب من الدب لا يُلَام، وهو قد تاب منه أيضاً، ولو كان آدم يعتقد رفع الملام عنه لأجل القدر لم يقل: (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم نغفر لنا ونرحمنا لنكونن من الخاسرين) (١).

والمؤمن مأمور عند المصائب أن يصبر ويسلم، وعند الذنوب أن يستغفر ويتوب، قال الله تعالى (فاصبر إن وعد الله حق) واستغفر لدنياك (٢)، فأمره بالصبر على المصائب، والاستغفار من المعائب.

(١) سورة الأعراف، الآية ٢٣ (٢) سورة طه، الآية: ٥٥

وقال تعالى (ما أصاب من مصيبة إلا نادى الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه)^(١) . قال ابن مسعود : هو الرجل تصيبه المصيبة يعلم أنها من عند الله فيرضى ويستسلم .

فالْمُؤْمِنُونَ إذا أصابهم مصيبة مثل المرض والفقر والدل، صبروا لحكم الله، وإن كانت ذلك سبب ذب غيرهم، كمن أفق أبوه ماله في المعاصي فافتقر أولاده لذلك، فمليهم أن يصبروا لما أصابهم، وإذا لاموا الأب لحظوظهم، ذكر لهم القدر

والصبر واجب باتفاق العلماء، وأعلى من ذلك الرضى بحكم الله، والرضى قد قيل إنه واجب، وقيل : هو مستحب، وهو الصحيح، وأعلى من ذلك أن يشكر الله على المصيبة لما يرى من إسماع الله عليه بها، حيث جعلها سبباً لتكفير خطاياهم، ورفع درجاته، وإثباته إلى الله ونصره إليه . وإخلاصه له في التوكل عليه ورجائه دون المخلوقين

وأما أهل البني والاضلال فتجدهم يحتجون بالقدر إذا أذنبوا واشتبعوا أهواءهم، ويضيفون الحسرات إلى أنفسهم إذا أئتم عليهم بها، كما قال أحد العلماء : أمت عند الطاعة قدري، وعند المعصية جبري، أي مذهب وافق هواك تمذهبت به

وأهل الهدى والرشاد إذا فعلوا حسنة، شهدوا لإسماع الله عليهم بها،

وأنه هو الذي أنعم عليهم وجعلهم مسلمين ، وجعلهم يقيمون الصلاة ،
 وألهمهم التقوى ، وأنه لا حول ولا قوة إلا به ، فإل عنهم بشهود
 القدر المَحْض والمُن والْأَدَى ، وإذا فعلوا سيئة استغفروا الله وتابوا
 إليه بها .

ففي « صحيح البخاري » عن شدد بن أوس قال : قال رسول الله
 ﷺ : « سيد الاستغفار أن يقول العبد : اللهم أنت ربي لا إله إلا
 أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ
 بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بسوءي وأبوء بدي ، فانهز لي فإنه
 لا يغفر الذنوب إلا أنت من قالها إذا أصبح ، ومثلها ثلاث من
 ليلته دخل الجنة »

وفي الحديث الصحيح عن أبي در رضي الله عنه عن النبي ﷺ
 فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى أنه قال : « يا عبادي إني حرمت الظلم
 على نفسي وحملته بينكم محرماً فلا تظالموا يا عبادي إني محطون
 بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً ولا أباي . فاستمعروني أغفر لكم .
 يا عبادي كل من حانع إلا من أطمئنت فاستطمعوني أطمعكم يا عبادي
 كل من عار إلا من كسونه فاستكسوني أكسكم . يا عبادي كل من ضال
 إلا من هديته فاستهدوني أهديكم يا عبادي إني لكم لن تغفوا ضري

فنعصروني ولن ينفوا عني فسموني يا عبادي لو أن أوائكم وآخركم
وإيسكم وجكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في
ملكي شيئاً يا عبادي لو أن أوائكم وآخركم وإيسكم وجكم كانوا على
أخثر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً يا عبادي لو
أن أوائكم وآخركم وإيسكم وجكم اجتمعوا في صعيد واحد فسألوني
فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عدي إلا كما ينقص البحر
إذا غمس فيه الخيط عمسة واحدة يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها
لكم ثم أوفىكم إياها ، فمن وجد حيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك
فلا يلومن إلا نفسه ^(١)

فأمر سبحانه بحمد الله على ما يحده العبد من حير وأنه إذا وجد
شراً فلا يلومن إلا نفسه

وكتب من الناس يتكلم باسم الحقيقة ، ولا يفرق بين الحقيقة
الكونية القدرية المتمثلة بحقه ومشينته ، وبين الحقيقة الدينية الأخرية
المتعلقة برضاه وعونه ، ولا يفرق بين من يقوم بالحقيقة الدينية موافقاً
لما أمر الله به على لسان رساله ، وبين من يقوم بوجدته وذوقه غير معتبر
بذلك بالكتاب والسنة ، كما أن لفظ الشريعة يتكلم به كثير من الناس ،

(١) رواه مسلم مع اختلاف يسير في بعض العاطل .

ولا يفرق بين الشرع المتبرل من عند الله تعالى وهو الكتاب والسنة الذي امت الله به رسوله ، فان هذا الشرع ليس لأحد من الخلق الخروج عنه ، ولا يخرج عنه إلا كاهن و من الشرع الذي هو حكم الحاكم ، فالحاكم تارة يصيب وتارة يخطئ ، هذا إذا كان عادلاً ، وإلا فهي « الس » من السي سَيِّئَة ، أنه قال : « لقضاء ثلاثة قاضيان في النار ، وقاض في الجنة ؛ رجل علم الحق وقضى به فهو في الجنة ، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار » ورجل علم الحق فقضى بغيره فهو في النار » (١) .

وأفضل القضاء العالمين المادلين سيد ولد آدم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد ثبت عنه في « الصحيحين » أنه قال : « إنكم تختصمون إلي ، ولعل بعضكم يكون ألحن بحجته من بعض ، وإنا نقضي نحو مما أسمع ، فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه ، فإنما أقطع له قطعة من النار » .

فقد أخرج سيد الخلق أنه إذا قضى شيء مما سمعه وكان في الباطن بخلاف ذلك ، لم يحز للمقضي له أن يأخذ ما قضى به له ، وأنه إنما يقطع له به قطعة من النار .

وهذا متفق عليه بين العلماء في الأملاك المصاغة إذا حكم الحاكم

(١) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه

عما ظله حجة شرعية كائنة والافرار ، وكان الباطن بخلاف الظاهر لم
يجز لمقضي له أن يأخذ ما قصي به به بالافاق وإن حكم في العقود
والفسوح عن ذلك ، فأكثر العلماء بقول إن لا أمر كذلك ، وهو
مذهب مالك والشافعي وأحمد بن حنبل ، ومرتق أوحيدة رضي الله عنه
بين النوعين

فلمط لشرع ولشريعة إذا أريد به الكتاب والسنة لم يكن
لأحد من أولياء الله ولا أميرهم أن يخرج عنه ، ومن ظن أن لأحد
من أولياء الله طريقاً إلى الله غير متاعه محمد ﷺ باطناً وطاهر أو لم
يتابعه باطناً وظاهر أو كافر

ومن احتج في ذلك بقصة موسى مع الخضر ، كان فالطاً من

وجاهين

أحدهما : أن موسى لم يكن معوناً إلى الخضر ، ولا كان على
الخضر شفاعته ، فإن موسى كان معوناً إلى بني إسرائيل ، وأما محمد
ﷺ فرسالته عامه لجميع النقبين الحن والاس ، ولو أدركه من هو
أفضل من الخضر ، كإبراهيم وموسى وعيسى وحب علمهم أتباعه ،
فكيف بالخضر سوء كان نبياً وولياً ، ولهذا قال الخضر لموسى .
« أنا على علم من علم الله عسيه الله لأنعلمه ، وأنت على علم من علم الله

عالمكم الله، لا أعلمه^(١) وليس لأحد من النقبس الذين بلغتهم رسالة محمد ﷺ أن يقول مثل هذا.

الثاني أن ما فعله الخضر لم يكن مخالفاً لشريعة موسى عليه السلام، وموسى لم يكن علم الأسباب التي تنبئ ذلك، مما يثبتها له واقعته على ذلك، فإن حرق السفينة ثم رقيعها لمصلحة أهلها خوفاً من الظالم أن يأخذها، إحسان إليهم، وذلك حائر، وقتل الصائل حائزاً كان صغيراً، ومن كان تكفيراً لأتوبه لا يندفع إلا قتله جاز قتله.

قال ابن عباس رضي الله عنهما لحدة الحروري لما سأله عن قتل الغلمان، قال له: إن كنت عمت منهم ما علمه الخضر من ذلك السلام فاقنتهم، وإلا فلا تقبلهم، رواه البخاري.

وأما الإحسان إلى اليتيم بلا عوض والصبر على الجوع، فهذا من صالح الأعمال، فلم يكن في ذلك شيء مخالفاً شرع الله.

وأما إذا أريد بالشرع حكم الحاكم، فقد يكون خالفاً، وقد يكون عادلاً، وقد يكون صواباً، وقد يكون خطأ، وقد يراد بالشرع قول أئمة الفقه، كأبي حنيفة والثوري ومالك بن أنس والأوزاعي والليث بن سعد والشافعي وأحمد وإسحاق وداود وغيرهم، فهو لا أفواهم

يحتاج لها بالكتاب والسنة ، وإذا لم يغيره حيث يجوز ذلك ، كان
جائزا ، أي ليس أناسٌ أحدهم واحداً على جميع الأمة ، كاتباع الرسول
ﷺ ، ولا يحرم تقليد أحدهم ، كما يحرم اتباع من يتكلم بغير علم
وأما إن أضاف أحد إلى الشريعة ما ليس منها من أحاديث معتزلة ،
أو تأول النصوص بخلاف مراد الله ، ونحو ذلك ، فهذا من نوع
التبديل ، فيجوز لفرق بين الشرع المنزّل ، والشرع المؤوّل ، والشرع
المبدّل ، كما يفرق بين الحقيقة الكونية والحقيقة الدينية الأمرية ، وبين
ما يستدل عليها بالكتاب والسنة ، وبين ما يكفى فيها تذوق صاحبها
ووجده

فصل

وقد ذكر الله في كتابه الفرق بين الإرادة والأمر والقضاء
والإذن والتحرير والامتثال والإرسال والكلام والحمل ، وبين الكوني
الذي خلقه وقدره ونفّاه وإن كان لم يأمره ولا ينهه ولا يثيب
أصحابه ، ولا يجعلهم من أوليائه المتقين ، وبين لديني الذي أمره وشرعه
وآتابه وأكرمه ، وجعلهم من أوليائه المتقين ، وحزبه المفلحين
وجنده العالين ، وهذا من أعظم العروق التي يفرق بها بين أولياء الله
وأعدائه ، فمن استعمله الرب سبحانه ونعالي فيما يحبه وبرصاه ، ومات على

ذلك ، كان من أواليائه ، ومن كان عمله فيما يفضيه الرب وبكفره ، ومات على ذلك كان من أعدائه .

فالارادة الكونية هي مشيئته لما خلقه ، وجميع المخلوقات داخله في مشيئته وإرادته الكونية ، والارادة الدينية هي المتضمنة لمحبه ووصاه المناولة لما أمر به وجعله شرعاً وديناً

وهذه مختصة بالايمان والعمل الصالح ، قال الله تعالى : (من يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء)^(١) .

وقال نوح عليه السلام لقومه : (ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم)^(٢) ، وقال تعالى : (وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال)^(٣) ، وقال تعالى في الثانية^(٤) : (ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)^(٥) وقال في آية الطهارة : (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليم نعمته عليكم لعلكم تشكرون)^(٦) ولما ذكر ما أحاطه وما حرّمه من

(١) سورة الانعام ، الآية ١٢٥ (٢) سورة هود ، الآية : ١٣٤

(٣) سورة الرعد ، الآية : ١١

(٤) لعله يريد بقوله : الثانية : الآية الثانية بهذا المعنى ، والاولى قوله تعالى : (فمن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) (٥) سورة البقرة ، الآية ١٨٥ (٦) سورة المائدة ، الآية : ٦

النكاح قال (يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم) والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً يريد الله أن يمحى عنكم وخلق الإنسان ضعيفاً ^(١) .

وقال لما ذكر ما أمر به أزواج النبي ﷺ وما نهاهن عنه (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) ^(٢) ، والمسي أنه أمركم بما يذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً، فمن أطاع أمره كان مطهراً فقد أذهب عنه الرجس، بخلاف من عصاه .
وأما الأمر، فقال في الأمر الكوني : (إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) ^(٣) ، وقال تعالى : (وما أمرنا إلا واحدة كالحصير) ^(٤) ، وقال تعالى : (إنما أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حسيداً) ^(٥) لم تفن بالأمس ^(٦) .

وأما الأمر الديني فقال تعالى : (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون) ^(٧) ، وقال تعالى : (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات

(١) سورة النساء ، الآيات ٢٨-٢٩ (٢) سورة الاحزاب ، الآية ٣٣

(٣) سورة النحل ، الآية ٤٠ (٤) سورة القمر ، الآية ٥٠

(٥) سورة يونس ، الآية ٢٤ (٦) سورة النحل ، الآية ٩٠

إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعياً يعظكم به إن الله كان سمياً بصيراً^(١)

وأما الاذن، فقال في الكوفي لما ذكر السحر (وما هم بضارين به من أحد إلا بأذن الله)^(٢) أي عشيته وقدرته ؛ وإلا فالسحر لم يبعه الله عز وجل

وقال في الاذن الديني : (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله)^(٣) ، وقال تعالى : (إنا أرسلناك شاهداً ومشرافاً ونذيراً وداعياً إلى الله ما يرضاه)^(٤) ، وقال تعالى : (وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بأذن الله)^(٥) ، وقال تعالى : (ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله)^(٦)

وأما القضاء فقال في الكوفي : (فما من سبع سموات في يومين)^(٧) ، وقال سبحانه : (إذا مضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون)^(٨)

وقال في الديني : (وقضى ربك أن تعبدوا إلا إياه)^(٩) أي

(١) سورة النساء ، الآية : ٨٥ (٢) سورة البقرة ، الآية : ١٠٢

(٣) سورة الشورى ، الآية : ١٢١ (٤) سورة الاحزاب ، آيات ٤٥ و ٤٦

(٥) سورة النساء ، الآية : ٦٤ (٦) سورة الحجر ، الآية : ٥

(٧) سورة السجدة ، الآية : ١٢ (٨) سورة البقرة ، الآية : ١١٧

(٩) سورة الاسراء ، الآية : ٢٣

أمر ، وليس المراد به : قدر ذلك ، فإنه قد عند غيره ، كما أحرفي غير موضع ، كقوله تعالى : (ويبعدون من دون الله مالا يضرهم وما لا ينفعهم ويقولون هؤلاء شعائرنا عند الله)^(١) .

وقال الخليل عليه لقومه . (أمر أنتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فاهم عدولي إلا رب العالمين)^(٢) وقال تعالى . (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم ولذين معه إذ قالوا لقومهم إنا نراه منكروا فاعبدوا من دونه الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم المداوة والبغضاء آنذا حتى نؤمنوا بالله وحده لا قول إبراهيم لأبيه لا تستغفرن لك وما أمرك لك من الله من شيء)^(٣) وقال تعالى (قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد . ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين)^(٤) وهذه كلمة تقتضي براءتهم من دينهم . ولا تقتضي رضاء بذلك ، كما قال تعالى في الآية الأخرى . (وإن كذبوك نقلني علي ولكم عذابكم أنتم بربثون مما أصهل وأنا بري مما تعملون)^(٥) .

ومن ظن من الملاحدة أن هذا رضى الله بدين الكفار ، فهو من

(١) سورة يونس ، الآية : ١٨ (٢) سورة الشعراء ، الآيات ٧٥-٧٧
(٣) سورة الممتحنة ، الآية : ٤ (٤) سورة الكافرون
(٥) سورة يونس ، الآية : ٣١

أكذب الناس وأكفرهم ، كمن ظن أن قوله : (وقضى ربك)^(١)
 عمى قدره ، وإن شئ سبحانه ما قصى شيء إلا وقع ، وجعل عباده الأصنام
 ما عبدوا إلا الله ، فإن هذا من عظم الناس كفراً بالكذب
 وما افظ لبعثه ، فقال تعالى في البعث الكوني (فاد جاء وعد
 أولاهما مبثاً عليكم عبداً ما أولي أس شديد مجاسوا حلال الديار ،
 وكان وعداً مفعولاً)^(٢) .

وقال في البعث الديني (هو الذي بعث في الأميين رسولاً
 منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة)^(٣) وقال
 تعالى : (ولقد مضى في كل أمة رسولاً أن عبدوا الله واجتنبوا
 الطاغوت)^(٤) .

وأما لفظ الارسل فقال في الارسل الكوني (ألم تر أننا أرسلنا
 الشياطين على الكافرين تؤزهم أزراً)^(٥) وقال تعالى (وهو الذي أرسل
 الرياح نشرأ بين يدي رحمته)^(٦) .

وقال في الديني . (إنا أرسلناك شاهداً ومشرراً ونذيراً)^(٧) وقال

- | | |
|-----------------------------|-----------------------------|
| (١) سورة الاسراء ، الآية ٢٣ | (٢) سورة الاسراء ، الآية ٥٠ |
| (٣) سورة اجمعة ، الآية ٢٠ | (٤) سورة النحل ، الآية ٣٦ |
| (٥) سورة مريم ، الآية ٥٣ | (٦) سورة الفرقان ، الآية ٤٨ |
| (٧) سورة الاحزاب ، الآية ٤٥ | |

تعالى . (إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه) ^(١) وقال تعالى (إنا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً) ^(٢) وقال تعالى (الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس) ^(٣) وأما لفظ الحمل، فقال في الكوفي (وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار) ^(٤) .

وقال في الدي . (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) ^(٥) وقال تعالى : (ما جعل الله من بحيرة ولا سائنة ولا وصيلة ولا حام) ^(٦) . وأما لفظ التحريم، فقال في الكوفي (وحرّمنا عليه المراضع من قبل) ^(٧) وقال تعالى : (فإنها محرّمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض) ^(٨) .

وقال في الدي . (حرّمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به) ^(٩) وقال تعالى . (حرّمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخوات) ^(١٠) الآية

- | | |
|-------------------------------|--------------------------------|
| (١) سورة نوح ، الآية ١٠ | (٢) سورة المزمل ، الآية : ١٥ |
| (٣) سورة الحج ، الآية : ٧٥ | (٤) سورة القصص ، الآية : ٤١ |
| (٥) سورة المائدة ، الآية : ٤٨ | (٦) سورة المائدة ، الآية : ١٠٣ |
| (٧) سورة القصص ، الآية : ١٢ | (٨) سورة المائدة ، الآية : ٢٦ |
| (٩) سورة المائدة ، الآية : ٣ | (١٠) سورة النساء ، الآية : ٢٣ |

وأما لفظ الكلمات، فقال في الكلمات العكوبية (وصدقت
بكلمات ربها وكتبه)^(١)

ونسبت في « لصحيح » عن النبي ﷺ أنه كان يقول « أعوذ
بكلمات الله ائمة كلها من شر ما خلق ومن عصمه وعقابه وشر عباده،
ومن همز الشياطين وأن يحصروني »^(٢) وقال ﷺ « من رمل مزلزلاً
فقال أعوذ بكلمات الله لأمات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى
يرتحن من ماله ذلك »^(٣) وكان يقول « أعوذ بكلمات الله ائمة التي
لا تحاورهن رز ولا طهر، ومن شر ما ذرأ في الأرض ومن شر ما يخرج
مها ومن شر من الليل والنهار، ومن شر كل طارق إلا طارقاً يطرق
بخبير بارحمن »^(٤)

(١) سورة التحريم ، الآية ١٢

(٢) ليس في الصحيح بهذا اللفظ، إجماعاً ما ثبت في « إرواح » عن يحيى بن
سعيد قال : سمعت أن خالد بن الوليد قال لرسول الله ﷺ إني أروغ في منامي فقال
له رسول الله ﷺ « ومن أعوذ بكلمات الله ائمة من عصمه وعقابه وشر عباده
ومن همز الشياطين وأن يحصروني » .

(٣) أخرجه مسلم عن حذيفة بن حكيم قال : قال رسول الله ﷺ « ومن رمل
مزلزلاً » . الحديث

(٤) روى الطبراني عن خالد بن الوليد أنه شكك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال : إني أخاف من عني في الليل فقال : « ألا أعلمك كلمات عمن من جبريل عليه
السلام ووعدهم أن يعرفوا من الليل بكيفتي فقال : أعوذ بكلمات الله ائمة التي

وكلمات الله الناميات التي لا يحاورهن برّ ولا فاجر، هي التي
 كوّن بها الكائنات، فلا يخرج برّ ولا فاجر عن كونه ومشيشته
 وقدرته وأما كلماته لدية، وهي كلمة المخلوقة وما فيها من أمره وهيبه،
 فأطاعها الأبرار، وعصاها الفجار

وأولياء الله المتقون هم مطيعون لكلماته لدية، وجهه له الديني،
 وإذنه الديني، وإرادته الدينية

وأما كلماته الصكوبية التي لا يحاورها برّ ولا فاجر، فانه يدخل
 تحتها جميع الخلق، حتى إبليس وحنوده وجميع الكفار وسائر من يدخل
 النار، فالتحق وإن ختموه في شمول الحق ومشيشته والقدرة والقدر
 لهم. فقد تفرقوا في الأمر والهي والمحنة والرعي والمص.

وأولياء الله المتقون هم الذين صبروا بالصبر، وبركوا بالمحظور،
 وصبروا على المقدور، فأحبهم وحنّوهم، ورعي عنهم ورصوا عنه.
 وأعداؤه أولياء الشياطين، وإن كانوا تحت قدرته فهو بعضهم،
 وينضب عليهم وبلغهم ويغاديهم

وسط هذه الجمل له موضع آخر، وإنما كنت ههنا تنبهاً على

لا يحاورهن بر ولا فاجر من شر ما بر من إلهه وما عرج بها ومن شر ما بر في
 الأرض وما عرج بها ومن شر قبي القبي وقبي النار ومن شر طوارق الليل
 وأهوار الأطارق بطرق بحير يار حنّ، ورواه مالك مسجود

مجامع الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، وجمع الفرق بينهما
اعتبارهم توافقة رسول الله ﷺ ، فإنه هو الذي فرق الله تعالى به بين
أوليائه السعداء ، وأعدائه الأشقياء ، وبين أوليائه أهل الجنة ، وأعدائه
أهل النار ، وبين أوليائه أهل الهدى والرشاد ، وبين أعدائه أهل العمى
والضلال والفساد ، وأعدائه حزب الشيطان ، وأوليائه الذين كتب
في قلوبهم الإيمانيات ، وأبدى روح منه قال تعالى : (لا تجد قوماً
يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) (١) الآية ،
وقال تعالى : (إذ يوحى ربك إلى الملائكة أعي ممكمتنوا الذين آمنوا
سائقى في قلوب الذين كفروا لرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا
منهم كل ننان) (٢) .

وقال في أعدائه : (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم
ليجادلوكم) (٣) ، وقال : (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين
الانس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً) (٤) ،
وقال : (هل أبلغكم على من نزل الشياطين نزل على كل أفاك
أنيم . سقون السمع وكثرتم كاذبون والشعراء يتبعهم الغاؤون ألم
ترأسم في كل واديهيمون وأسم يقولون ما لا يفعلون إلا الذين

(١) سورة النجاة ، آية ٢٢ (٢) سورة الأنفال ، الآية : ١٣

(٣) سورة الأنعام ، الآية : ١٢١ (٤) سورة الأنعام ، الآية : ١١٢

آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ عَدُوِّهِمْ
وَمِيعَمَ الَّذِينَ ضَمُوا أَيُّ مَقَابِ بِقَلْبُونِ (١) ، وَقَالَ تَعَالَى : (فَلَا أَقْسَمُ
عَنْتَصَرُونَ وَمَا لَا يَبْصُرُونَ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ
شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُوْمِنُونَ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَا نَذَكْرُونَ نَزِيلٌ
مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ
ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ، فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاحِرِينَ وَإِنَّهُ لَنَذَكْرَةٌ
لِلْمُتَّقِينَ وَإِلَّا نَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ،
وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٢) ، وَقَالَ تَعَالَى (عَدَّ كُرْ
فَأَنْتَ نِعْمَةٌ رَبِّكَ مَا كَانُوا وَلَا يَجُودُونَ) (٣) ، إِلَى قَوْلِهِ : (إِنْ كَانُوا
صَادِقِينَ) (٤)

فَنَزَّاهُ سَمْعَاهُ وَتَعَالَى بَيْتُهُ مُحَمَّدًا ﷺ عَنْ تَقَرُّنِهِ الشَّيَاطِينِ
مِنَ الْكُهَّانِ وَالشُّمَرِ ، وَلِجَبِّسِ ، وَيَسَّى أَرِ الدِّي حَاهُ بِالْقُرْآنِ مَلَكُ
كَرِيمِ اصْطَعَاهُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (اللَّهُ يَصْطَافِي مِنْ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمَنْ
النَّاسِ) (٥) ، وَقَالَ تَعَالَى (وَإِنَّهُ لَنَزِيلٌ رَبِّ الْمَلَائِكَةِ رُلٌ مِنَ الرُّوحِ

(١) سورة الشمر ٥٠ ، الآيات : ٢٢١ - ٢٢٧

(٢) سورة الحاقة ، الآيات : ٣٨ - ٥٢ ، (٣) سورة الطور ، الآية : ٢٩

(٤) - سورة الطور ، الآية : ٣٤ (٥) سورة الحج ، الآية : ٧٥

الأمين على نفسك لتكون من المندرس (لسان عربي مبين) ^(١) ،
 وقال تعالى : (قل من كان عدواً لخير بل فإنه نزله على نفسك بإذن الله) ^(٢)
 الآية ، وقال تعالى (فاد قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان
 الرجيم) ^(٣) إلى قوله (وشرى لنفسه) ^(٤) ، فسماه الروح الأمين
 وسماه روح القدس ، وقال تعالى (فلا أقسم بالخلدس الحواري
 الكلدس) ^(٥) ، يعني الكوكب التي تكون في السماء حادثة ، أي بحقيقة
 قبل صوءه ، هذا ظهرت رآها الناس حادثة في السماء ما إذا غرقت ذهبت
 إلى كسائها الذي يحجبها (ولليل إذا عسعس) ^(٦) أي إذا دُر وأقبل
 الصبح (والضح إذا عسعس) ^(٧) أي فسر (إنه يقول رسول كريم) ^(٨)
 وهو جبريل عليه السلام (ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم
 أمين) ^(٩) أي مطاع في السماء أمين ، ثم قال (وما صاحبكم عجوز) ^(١٠)
 أي صاحبكم لدى من الله عليكم به ، إذ منه إليكم رسولا من جنسكم
 يصحبكم إذ كنتم لا نظيفة وإن نرو الملائكة ، كما قال تعالى (وقالوا)

(١) سورة اشعرا ، الآية ١٩٢-١٩٥ (٢) سورة الفاتحة ، الآية ٩٧ :

(٣) سورة الحجر ، الآية ٩٨ (٤) سورة الحجر الآية ١٠٢

(٥) سورة التكاور ، الآية ١٥ ، ١٦

(٦) سورة التكاور ، الآية ١٧ (٧) سورة التكاور ، الآية ١٨ :

(٨) سورة التكاور ، الآية ١٩ (٩) سورة التكاور ، الآية ٢٠ ، ٢١

(١٠) سورة التكاور ، الآية ٢٢

لولا أن ربي عليه ملك و هو رب ما كما قصي الأمر ثم لا يضرهم ولو
 جمعاء ٦٠ كما جمعاء رجلاً الآية (١) وقال نه لي . (وقد رآه بالافق
 المسبب) (٢) في ربي من ربي عليه السلام (وما هو على العيب طس) (٣)
 أي عنهم ، وفي القرية الأخرى (مسين) (٤) في حجبكم لكم ولا
 بدله إلا محمل ، كما بعض من كنتم الملم إلا ما موص (وما هو قول
 شيطان رحم) (٥) فترى حبر لي عليه السلام من أن يكون شيطاناً ، كما
 رآه محمد ﷺ عن أن يكون شاعراً وكاهناً

وأولياء الله المقنون هم المقنون محمد ﷺ ، فيملون ما أمر به ،
 ويتهون عما عنه ربح ، ويقفون به فيما يشاء أن ينموه فيه ،
 فيؤيدهم ملائكة وروح منه ، ويقذف الله في قلوبهم من نور ، ولهم
 الكرامات التي يكرم الله بها أوليائه المقبولين وخيار أوليائه الله ، كراماتهم
 حجة في الدين ، وأحاديثهم بالسمين ، كما كانت معجرات بينهم ﷺ
 كذلك

وكرامات أولياء الله ، وما حصلت بركة نافع رسوله ﷺ ،
 فهي في الحقيقة تدخل في معجرات الرسول ﷺ مثل انشقاق القمر (٦)

(١) سورة الاسم ، الايات : ٩٠ ، ٨٩ (٢) سورة التكويد ، الآية : ٢٣

(٣) سورة التكويد ، الآية : ٢٤ (٤) - ربه شكر : الآية : ٢٤ وهي قراءة بعض

(٥) سورة التكويد ، الآية : ٢٥

(٦) رواه البخاري ومسلم عن أنس بن مالك .

وتسبيح الحصى في كفه^(١)، وإتيان الشجر إليه^(٢)، وحنين الجذع إليه^(٣)، وإجباره لبنة المعراج بصفة بيت المقدس^(٤)، وإجباره بما كان وما يكون^(٥)، وإتيانه بالكتاب العربر، وتكثير الطعام والشراب مرات كثيرة، كما أشع في الحندق المسكر من قدر طعام وهو لم يقص، في حديث أم سليم المشهور^(٦)، وروى المسكر في عروة خبير من مزادة ماء ولم يقص، وملاً أوعية المسكر عام تبوك من طعام قبيل ولم يقص، وم نحو ثلاثين ألفاً وسع^(٧) من بين أصابعه مرات متعددة حتى كوى الناس لذين كانوا معه، كما كانوا في عروة الحديبية نحو ألف وأربعمائة أو خمسمائة^(٨)، ورد له من أي فائدة حبس سالت على حذره فرجعت أحسن حينه^(٩)، ولما أرسل محمد بن مسلمة لقتل كعب بن

(١) رواه الزوار والطبراني عن أبي در (٢) رواه مسلم عن جابر.

(٣) في الصحيحين.

(٤) في الصحيحين، إرمذي عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ ولما كدنتي فريش فقب في الحجر فحلى الله لي بيت المقدس فطقت أحدهم عن آياته وأما أنظر إليه.

(٥) أخرجه مسلم من حديثه عن عمرو بن الخطاب فأحرق ما كان وما هو

كائن فأعلمنا أحفظاً، (٦) في الصحيحين عن جابر

(٧) في الصحيحين عن جابر.

(٨) رواه الطبراني وأبو يعلى، قال الهيثمي في المحقق، وفي أسناد الطبراني من

لم أعرفهم، وفي أسناد أبي يعلى، الحديث، وهو صحيح.

الأشرف فوقعوا وكسرت رجله فمسحها فقرأ^(١)، وأطعمهم من شواء مائة وثلاثين رجلاً كلاً منهم حرٌّ له قطعة، وجعل منها قطعتين فأكلوا منها جميعهم، ثم فضل فصلة^(٢) و[فضى] دين عبد الله أبي جابر لليهودي وهو ثلاثون وسقاً^(٣)

قال جابر . فامر صاحب الدين أن يأخذ النمر جميعه بالذي كان له فلم يقبل ؛ فشى عيها رسول الله ﷺ ، ثم قال لحار : جدد له ، فوفاه الثلاثين وسقاً ، وفضل سبعة عشر وسقاً ومثل هذا كثير ، قد جمعت نحو ألف معجزة

وكرامات الصحابة والتابعين بمدم وسائر الصالحين كثيرة جداً ، مثل ما كان أسيد بن حضير يقرأ سورة الكهف فنزل من السماء مثل الظلّة فيها أمثال السرج ، وهي الملائكة برلت لقراءته^(٤) وكانت

(١) الذي في البخاري أن الذي كسرت رجله فمسحها رسول الله ﷺ فقرأ هو عبد الله بن عتيك الذي بعثه رسول الله ﷺ «فتد أبي رافع ، وأما محمد بن مسلمة فقد قتل كعباً ولم تكسر رجله .

(٢) في الصحيحين ، عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق

(٣) أخرجه البخاري في باب إذا قضى دين حقه أو حله .

(٤) روى الطلحة والسرّح كان عبد قراءة سورة الحرة كما أخرجه البخاري

عن أسيد . أما ما حدث له عبد قراءة الكهف فقد ورد بلفظ «مشته سحابة» وهو

في الصحيحين .

الملائكة نسّم على عمرو بن حصين، وكان ساجداً وأبو لدرء
 يأكلان في صحفة، فسبحت الصحفة أو مسح ما فيها وعاد بن نشر
 وأسيد بن حضير حرّما من عند رسول الله ﷺ في ليلة مظلمة،
 فأصاب لهما نور مثل طرف السوم، فلما فرقا افترق القوم معها رواء
 البخاري وغيره

وفضة الصديق في «الصحيحين» لما ذهب ثلاثة أصوف معه
 إلى بيته، وجعل لا يأكل لقمة إلا يأمن أسهلها أكثر منها، فشموا
 وصارت أكثر مما هي قد ذك «ظر إليها أو بكر وامرأه؛ هذا
 هي أكثر مما كانت، فرفعها إلى رسول الله ﷺ، وحاء إليه أقوام
 كثيرون فأكلوا منها وشبوا

وخيب بن عدي كان أسيراً عند لشركيين عكة شرفها الله
 تعالى، وكان يؤتى بسب ما أكاه وليس عكة عبة^(١)

وعامر بن هيرة قتل شهيداً، فالتصوا جسده فلم يقدروا
 عليه، وكان لما كان قتل رفع، فرآه مصر من الطمبل وقد رفع وقال
 عروة: فبرون الملائكة رفعت

وخرجت أم أيمن مهاجرة وليس معها زاد ولا ماء، فكادت

(١) رواء البخاري عن أبي هريرة

تموت من العطش ، فلما كان وقت العطر وكانت صائغة ، سمعت حساً على رأسها ، فرمته فإدا دلو ممتلئ ، فشربت منه حتى روت ، وما عطشت بقية عمرها

وسعية مولى رسول الله ﷺ أحرر الأسد بأمره رسول رسول الله ﷺ ، فبشى معه لأسد حتى أوصله مقصده^(١) والبراء بن مالك كان إذا أقسم على الله تعالى أُرْ قسمه^(٢) ، وكان الحرب إذا اشتدت على المسلمين في الجهاد يقولون يا براء أقسم على ربك ، فيقول يا رب أقسمت عليك لما منعنا كتمانهم ، فيهرم العدو ، فلما كان يوم القادسية قال أقسمت عليك يا رب لما منعنا أكتمانهم وحمدني أول شهيد ، وحواء كتمانهم وقتل البراء شهيداً .
وخالد بن الوليد حاصر حصناً مبهماً ، فقالوا لا نسلم حتى نشرب السم ، فشربه فلم يضره
وسعد بن أبي وقاص كان مستحب الدعوة^(٣) ، ما دعا فط إلا

(١) رواه الحاكم ، قال صحيح على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي . وهو كما قال .
(٢) رواه الترمذي عن أنس أن النبي ﷺ قال ورب أشمت أعز لا يؤبه له ، لو قسم على الله لأبره ، منهم ، بر . بن مالك .
(٣) روى الترمذي أن النبي ﷺ قال : والله استحب أسد إذا دعا .
فكان لا يدعو إلا استجيب له

استجيب له ، وهو لذي هرم جنود كسرى وفتح العراق
وعمر بن الخطاب لما أرسل جيشاً أمر عليهم رجلاً يسمى
سارية ، حينما عمر يخطب فحمل يصيح على لسر يا سارية الجبل ،
يا سارية الجبل الجبل ، فقدم رسول الجيش لسأله ، فقال : يا أمير المؤمنين !
لقينا عدوهم زمونا فإذا نصائح : يا سارية الجبل ، يا سارية الجبل ، فأسندنا
ظهورنا بالجبل فهزمهم الله ^(١) .

ولما عدت الزبيرة على لاسلام في الله ، فأتت لاسلام
ودهب نصرها ، قال المشركون : أصاب نصرها اللات والعزى ،
قالت : كلا والله ، رد الله عليها نصرها ^(٢) .

ودعا سعيد بن زيد على أروى بنت الحكم فأصمى نصرها لما كدست
عليه ، فقال : اللهم إن كانت كاذبة فأعمى نصرها واقتلها في أرضها ، فعميت
ووقعت في حفرة من أرضها فانت ^(٣) .

والعلاء بن الحضرمي كان عامل رسول الله ﷺ على البحرين ،
وكان يقول في دعائه : يا عليم يا حلیم يا عی يا عظیم ، فاستجاب له ، ودعا
الله بأن يسقوا ويتوصؤوا بما عديموا الماء والاسقاء لما بدم ، فأجيب ،

(١) رواه السهقي في الدلائل ، قال بن حجر في لاسافة ، أسدده حسن .

(٢) أخرج القصة عثمان بن أبي شبة في تاريخه كما في لاسافة .

(٣) القصة أخرجه مسلم .

ودعا الله لما اعتصرهم البحر ولم يقصدوا على المرور بحيولهم ، فمروا
كلهم على الماء ما انت سروج حيولهم ، ودعا الله أن لا يرو حسده إدا
مات ، فلم يحدوه في اللحد ، وحرى مثل ذلك لأنني مسلم الخولاني
الذي ألقى في النار ، فانه مشى هو ومن معه من المسكر على دجلة ،
وهي ترمي بالخشب من مدنها ، ثم التفت إلى أصحابه فقال : تفقدون
من مناعكم شيئا حتى أدعو الله عز وجل فيه ؟ فقال مصهم فقدت بخلا ،
فقال : أتبعني ، فبعته فوجدتها قد نعلت شيئا فأخذها ، وطلبه
الأسود العنسي لما ادعى النبوة ، فقال له : أنشهد أني رسول الله ، قال
ما أسمع ، قال : أنشهد أن محمدا رسول الله ، قال نعم ، فأمر بارفأني
فيها ، فوجدوه قائما يصلي فيها ، وقد صارت عليه ردا وسلاما

وقدم المدينة بعد موت النبي ﷺ ، فأجلسه صريته وبين أني
نكر الصديق رضي الله عنهما ، وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى أرى
من أمة محمد ﷺ من فعل به كما فعل إبراهيم خليل الله ، ووضعت
له جاريته السم في طعامه فم يضره ، وخذت امرأة عليه زوجته ، فدعا عليها
فعميت وجاءت وتأت ، فدعا لها فرد الله عليها بصرها

وكان عامر بن عبد قيس يأخذ عطاءه أني درهم في كفه ، وما يبقاه
سائل في طريقه إلا أعطاه غير عدد ، ثم يجي إلى بيته فلا يتغير عددها

ولا ورثها ومراً نقالة فدخلهم الأسد فجاء حتى مس بذيابه الأسد،
ثم وضع رجله على عنقه وقال إنما أنت كلب من كلاب الرحمن، وإني
أستحي من الله أن تخاف شيئاً غيره، ومررت القفلة، ودعا الله تعالى
أن يهون عليه الطهور في الشتاء، فكان يؤتى بالماء له يحار، ودعا ربه أن
يمنع قومه من الشيطان وهو في الصلاة، فلم يقدر عليه
ونقيب الحسن البصري^(١) عن الحجاج، فدخلوا عليه ست مرات
فدعا الله عز وجل فلم يروه، ودعا على بعض الخوارج - كان يؤذيهم -
فحرق ميتاً.

وحلة بن شميم^(٢) مات فرسه وهو في المرو، فقل اللهم لا تجعل
لخنوق علي مئة. ودعا الله عز وجل فأجابه فرسه، فمدا وصل إلى يده
قال يا بني جد سرح الفرس فانه عاريه، وأخذ مراحه فت الفرس.
وحام مرة بالاهوار، فدعا الله عز وجل واستنظمه، فوقعت حنقه
دو حلة رطب في ثوب حريز، فأكل النمر، ونقي الثوب عند زوجته
رمياً. وحامه الأسد وهو يصلي في عيصمة بالليل، فلما سأم قال له.
اطلب الرق من غير هذا الموضع، فولى للأسد وله رثير

(١) هو أبو سعيد الحسن بن إسار البصري، تلميذ حليل توفي رحمه الله
بالبصرة سنة ١١٠ هـ.

(٢) هو أبو الصها، تلميذ من رهاد البصرة وعبادم، قتل بكاف في ولاية
الحجاج سنة ٥٧٥ هـ.

وكان سعيد بن مسيب^(١) في أيام الحرة يسمع لأذان من قبر رسول الله ﷺ في أوقات الصلوات ، وكان المسجد قد حلا ، فلم يبق قبره .

ورحل من النخع كان له حمار فات في الطريق ، فقال له أصحابه هلم توزع متاعك على رحاك ، فقال لهم أمهلوني هبة ، ثم توصأ فأحسن لوصوه وصي ركنين ، ودعا الله تعالى فأجابه حماره ، فحمل عليه متاعه

ولمات أوس القرني^(٢) وحدوا في نياه ، كما لم تكن معه قبل ، ووجدوا قبراً مغموراً له لحد في صحرة ، فدفنوه فيه وكفنوه في تلك الآثواب .

وكان عمرو بن عتبة بن عمرو مدني ياتي يوماً في شدة الحر فأظلمته غمامة وكان السبع يحمله ، وهو يرعى ركب أصحابه ، لأنه كان يشترط على أصحابه في الفزوا أنه يتقدمهم

وكان مطرف بن عبد الله بن الشخير^(٣) إذا دخل بيته سحت

(١) هو أبو محمد سعيد بن أسد قرشي الحروي ، أحد الملوك لائعات ، و عفاه بكر ، في رحمة الله سنة ٩٣ هـ

(٢) هو أوس بن عامر قرني من سادات ثامن ، أمه من البعث ، شمر به الرسول ﷺ ، كما في صحيح مسلم ، في رحمة الله سنة ٣٧ هـ .

(٣) هو مطرف بن عبد الله بن الشخير ، أحد ملوك مصر ، ثقة عالم فاضل توفي رحمة الله سنة ٩٥ هـ

معه آيته ، وكان هو وصاحب له يسيران في غامة ، فأصابها طرف السوط .

ولما مات الأحنف بن قيس^(١) ، وقعت فتنة رجُل في قبره ، فأهوى لياخذها فوجد القبر قد فسح فيه مد البصر وكان إبراهيم التيمي^(٢) بقم الشهر والشهرين لا يأكل شيئاً ، وخرج ينار لأهله طعاماً فلم يقدر عليه ، فرسبلة حمراء فأخذ منها ، ثم رجع إلى أهله فصنعها فأذ هي حطلة حمراء ، فكان إذا زرع منها تخرج السفلة من أصلها إلى فرعها حباً متراكباً

وكان عنة الغلام سأل ربه ثلاث خصال صوتاً حسناً ، ودمماً غزيراً ، وطعاماً من غير تكاف . فكان إذا قرأ بكى وأبكى ، ودموعه جارية دهره ، وكان بأوى إلى منزله فيصيب فيه قوته ولا يدري من أين يأتيه .

وكان عبد الواحد بن زيد^(٣) أصابه الفالج ، فسأل ربه أن يطلق له أعصابه وقت الوضوء ، فكان وقت الوضوء تطلق له أعصابه ثم تعود بعده

(١) هو الأحنف بن قيس التيمي ، سيد عم ، بصريته المثل في العلم ، توفي رحمه الله سنة ٥٦٧ هـ .

(٢) هو أبو أسماء إبراهيم بن يزيد التيمي ، عابد مشهور توفي رحمه الله سنة ٩٢ هـ .

(٣) من الزهادين توفي سنة ١٩٧ هـ .

وهذا باب واسع [و] قد بسط الكلام على كرامات الأولياء في غير هذا الموضع .

وأما ما عرفه نحن صياداً وعرفه في هذا الزمان فكثير ، ومما ينبغي أن يعرف أن الكرامات قد تكون بحسب حاجة الرجل ، واداء احتاج إليها الضعيف الايمان أو المحتاج ، ناهيها ما بقوي إيمانه ويسد حاجته ، ويكون من هو أكمل ولاية لله منه مستغنياً عن ذلك ، فلا يأتيه مثل ذلك ، لعل درجته وعناؤه ، لا لقص ولا به . ولهذا كانت هذه الأمور في الناس أكثر منها في الصعابة ، بخلاف من يجري على يديه الخوارق لهدي الحق ولحاجتهم ، فهو لاه أعظم درجة

وهذا بخلاف الأحوال الشيطانية ، مثل حال عبد الله بن صياد^(١) الذي ظهر في زمن النبي ﷺ ، وكان قد ص صص الصعابة أنه الدجال ، وتوقف الذي ﷺ في أمره حتى نبي له فيما بعد أنه ليس هو الدجال ، لكنه كان من جنس الكهان قال له النبي ﷺ « قد حبأت لك خاتمة قال . لدخ الدخ وقد كان حثاً له سورة الدخان ، فقال له النبي ﷺ « اخساً فلن تعدو قدرك » بمي إعمأت من إحوال الكهان ، والكهان كانت يكون لأحدم القرين من الشياطين يحمره

(١) وحديثه في « الصحيحين »

كثير من المغيبات بما يسترقه من السمع ، وكانوا يحيطون الصق بالكذب كما في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره أن الله ﷻ قال : « إن الملائكة تنزل في السنان - وهو السحاب - فتذكر الأمر نفي في السماء ، فتسترق الشياطين السمع فتوحيه إلى الكهان ، فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم » .

وفي الحديث الذي رواه مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : بينما النبي ﷺ في سر من الأنصار إذ رمى سحماً فاستنار ، فقال النبي ﷺ : « ما كنتم تقولون لمثل هذا في الجاهلية إذا رأيتوه ؟ » قالوا : كما نقول : يموت عظيم أو ولد عظيم قال رسول الله ﷺ : « فانه لا يرمى بها موت أحد ولا حياته ؛ ولكن رسا تبارك وتعالى إذا قصي أمر أسبغ حلة العرش ، ثم مسح أهل السماء للذين يلوهم ، ثم الذين يلوهم ، حتى يبلغ النسيم أهل هذه السماء ، ثم يسأل أهل السماء السابعة حلة العرش ماذا قال رسا ، فيجبروهم ، ثم يستنحر أهل كل سما حتى يسبح ظهر أهل السماء الدنيا وتحطف الشياطين السمع فيرمون فيقذفونه إلى أوليائهم ، فما حاووا به على وجهه فهو حق ولكمهم زيدون » .

وفي رواية ، قال معمر : قلت للزهري : أكان يرمى بها في الجاهلية ؟ قال نعم ، ولكنها غلظت حين بعث النبي ﷺ والأسود المنسي الذي دعى البوة كان له من الشياطين من

يخبره ببعض الأمور المنيبية ، فما قتله المسلمون فكانوا يحافون من
لشياطين أن يخبروه بما يقولون فيه ، حتى أعاتهم عليه امرأته لما نبئت
لها كفره فقتلوه

وكذلك مسيمة الحكدأب كان معه من الشياطين من يخبره
بالمنيبات وبعينه على بعض الأمور

ومثال هؤلاء كثيرون ، مثل الحارث اللمشقي الذي خرج بالشام
رمن عند الملك بن مروان وأدعى السوء ، وكانت للشياطين نحر
رجليه من القيد ، وتمنع السلاح أن يعده فيه ، ونسح الرحامة إذا
مسحها بيده ، وكان يرى الناس رجالاً وركباناً على حيل في الهواء
ويقول : هي الملائكة ، وإعما كانوا اجتمأ ، ولما أمسكه المسلمون
ليقتلوه طعنه الطاعن بالرمح فلم ينفذ فيه ، فقال له عبد الملك : إنك
لم تسم الله فسمى الله فطعنه فقتله

وهكذا أهل الأحوال الشيطانية تنصرف عنهم شياطينهم إذا
ذكر عديم ما يطردها ، مثل آية الكرسي ، فانه قد ثبت في «الصحيح»
عن النبي ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه لما وكله النبي ﷺ
ب حفظ زكاة الفطر ، فسرق منه الشيطان إيلة بعد إيلة وهو يحسكه
فينوب فيطلقه ، فيقول له النبي ﷺ : « ما فعل أسيرك البارحة »

فيقول رعم أنه لا يعود، فيقول « كذبتك وإنه سيعوده » فيما كان في المرة الثالثة . قال دعني حتى أعلمك ما يبعثك . إذا أويت إلى فراشك فامرُ آبه الكرسي (الله لا إله إلا هو الحي القيوم)^(١) إلى آخرها ، فإنه إن يرال عليك من الله حافظ . ولا يقربك شيطان حتى تسبح ، وما أحبر النبي ﷺ قال « صدك وهو كدوب » وأحبره أنه شيطان^(٢)

ولهذا إذا مرأها الإنسان عند لأحوال الشيطانية تصدق أنطائها، مثل من يدخل النار بحول شيطاني، ويحصر جماع المكاء والنصبة^(٣) فنزل عليه الشياطين وتنكلم على لسانه كلاماً لا يعلم، ورعاً لا يفقه . ورعاً كاشف بعض الحاصرين عما في قلبه ، ورعاً تنكلم باللسنة مختلفة . كما ينكلم الحي على لسان المصروع . ولاسان الذي حصل له الحال لا يدري بذلك منزلة المصروع الذي ينحطه الشيطان من المس وليس له ونكلم على لسانه . فاذن فاق لم يشعر شي مما قال

ولهذا قد نصرت المصروع [صرباً كثيراً حتى قد يقتل مثله الإسي أو عرضه لو كان هو المضروب] وذلك الضرب لا يؤثر في

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٥ (٢) رو . البخاري .

(٣) المكاء : الصغير ، والتصدية : التصفيق .

الأمسي ، ويحذر إذا أفاق أنه لم يشعر بشيء ، لأن الضرب كان على الخبي
الذي لبسه

ومن هؤلاء من تأييه الشيطان بأصممة ومراكه وحلوى وغير
ذلك مما لا يكون في ذلك الموضع ، ومنهم من يطير به الخبي إلى مكة ،
أو بيت المقدس أو غيرها ، ومنهم من يحمله عشبة عريضة ، ثم يبعده
من بيته ، فلا يحج حجاجاً شرعياً ، بل يذهب ثباته ، ولا يحرم إذا حادى
البيقات ، ولا استي ، ولا يقف عز دفة ، ولا يطوف بالبيت ، ولا يسعى
بين الصفا والمروة ، ولا يرمي الجم ، بل يقف برفة ثباته ، ثم يرجع
من بيته ، وهذا ليس بحج [مشروع] اتفاق السامع ، بل هو كفت
بأبي الحمة ويصلي بغير وضوء وإلى غير القبلة ، ومن هؤلاء المحمولين ، من
جاء مرة إلى عرفات ورجع فرأى في لنوم ملائكة يكتفون الحاج [
فقال ألا تكتفوني ؟ فقالوا لست من الحاج يعني لم تحج حجاجاً
شرعياً

وبين كرامات الأولياء ، وبين ما يشهها من الأحوال
الشيطانية فروق متعددة منها ، أن كرامات الأولياء سببها الإيمان
والتقوى ، والأحوال الشيطانية ، سببها ما سبى الله عنه ورسوله
وقد قال سالي (من إماماً حراماً ربي الفواحش ما ظهر منها وما

عظن والاثم واليمني غير الحق وأن تشر كوا الله ما لم يزل به ساطعاً
وأن تقولوا على الله ما لا نعلمون^(١) فاقول على الله بغير علم ، والشرك
والظلم والعواحيش ؛ قد حرّمها الله تعالى ورسوله ، فلا تكون سباً
لكرامة الله تعالى بالصكرامات عليها ، فإذا كانت لا تحصل بالصلاه
والذكر وراءة القرآن ، بل تحصل بما يحبه الشيطان ، وبالأفوار التي
فيها شرك ، كالاحتمان بالمخلوقات ، أو كانت مما يستمن بها على ظلم المخلوق
وعمل العواحيش ، فهي من الأحوال الشيطانية ، لا من الكرامات
الرحمانية

ومن هؤلاء من إذا حضر مماع المكاء والنصدية ينزل عليه
شيطانه حتى يحمله في الهواء ويخرجه من تلك الدار ، فإذا حضر رجل
من أولياء الله تعالى طرد شيطانه ببسطة ، كما جرى هذا لمير واحد

ومن هؤلاء من يستنبت بمخلوق إما حي أو ميت سواء كان
ذلك المخلوق مسلماً أو نصرانياً أو مشركاً ، فيتصور الشيطان بصورة
ذلك المستنات به ، ويقضي بعض حاجته ذلك المستنبت ؛ فيظن أنه
ذلك الشخص ، أو هو ملك تصور على صورته ، وإنما هو شيطان أضله
لما أشرك بالله ، كما كانت الشياطين تدخل في الأصنام وتكلم المشركين

ومن هؤلاء من يتصور له الشيطان ويقول له : أنا الخضر ، وربما
أخبره ببعض الأمور ، وأما على بعض مطالبه ؛ كما قد جرى ذلك
لغير واحد من المسلمين واليهود والنصارى وكثير من الكفار بأرض
المشرق والمغرب ، يموت لهم الميت ، فيأتي الشيطان بمدهونه على صورته ،
وهم يعتقدون أنه ذلك الميت ، ويقضي لهيون ، ويرد الودائع ، ويعمل
أشياء تنمق بالميت ، ويدخل إلى روحه ويذهب ، وربما يكونون قد
أحرقوا ميتهم بالنار ، كما تصنع كهنة الهند ، فيظنون أنه عاش بعد موته
ومن هؤلاء شيوخ كان عصر أوصى خادمه فقال : إذا أمانت فلا
تدع أحدا يتسلي ، أنا أجي وأغسل نفسي ، فلما مات رأى خادمه
شخصاً في صورته ، فاعتقد أنه هو دخل وغسل نفسه ، فلما قضى ذلك
الداخل غسله ، أي غسل الميت ، غاب ، وكان ذلك شيطاناً ، وكان قد
أصل الميت . وقال إليك بعد الموت يحيى فتعسل نفسك ، فلما مات
حيا أيضاً في صورته ليغوي الأحياء ، كما أغوى الميت قبل ذلك
ومنهم من يرى عرشاً في الهواء ، وفوقه نور ، ويسمع من
يحاطبه ويقول : أنا ربك ، فإن كان من أهل المعرفة ؛ علم أنه شيطان
فزجره واستماذ بالله منه ، فيزول .

ومنهم من يرى أشخاصاً في البقطة يدعي أحدهم أنه نبي أو

صدِّق أو شَيْخ من الصالحين ، وقد جرى هذا لغير واحد [وهؤلاء
 منهم من يرى ذلك عند قبر الذي يزوره ، فيرى القبر قد انشق وخرج
 إليه صورة ، فينقدها الملبت ، وإعما هو حيّ تصوّر تلك الصورة
 ومنهم من يرى رأساً قد خرج من قبره ، أو دخل في قبره ، ويكون
 ذلك شيطاناً ، وكل من قال إنه رأى نبياً سبى رأسه فما رأى إلا
 خيالاً]

ومنهم من يرى في مسامه أن بعض الأكارم : إما الصدِّيق رضي
 الله عنه أو غيره قد قصّ شمره ، أو حنقه ، أو ألسه طافينه ، أو ثوبه ،
 فيصيح وعلى رأسه طافية ، وشمره محبوق ، أو مقصر ، وإنما الحن قد
 حلقوا شمره أو فسروه ، وهذه الأحوال الشيطانية تحصل لمن خرج
 عن الكتاب والسنة ، ومدرجات ، والحن الذين يقترون بهم من
 جنسهم وعلى مذهبهم ، والحن فيهم الكافر والفاسق والمخطئ ، فإن
 كان الأبي كافر أو فاسقاً أو جاهلاً ، دخلوا معه في الكفر والفسوق
 والاضلال ، وقد بماوروه إذا وافقهم على ما يختارونه من الكفر ، مثل
 الإقسام عليهم بأسماء من يظنونه من الحن وغيرهم ، ومثل أن يكتب
 أسماء الله و بعض كلامه ، لنجاسة ، أو يقب فائحة الكتاب ، أو سورة
 الإخلاص ، أو آية الكرسي ، أو غيرهن ، ويكتبهن بنجاسة فينورون له

الماء ، ويقلوبه بسبب ما يرصهم به من الكفر ، وقد بأونه عن
يهواه من امرأة أوصي : إمامي الهواه ، وإمام مدفعاً ملحاً إليه
إلى أمثال هذه الأمور التي بطول وصفها ، والإيمان بها ؛ إيمان
بالحبت والطاغوت ولخت السحر والطاغوت الشياطين والأصنام
وإن كان الرجل مطيعاً لله ورسوله باطلاً وظاهراً ؛ لم يمكنهم الدحول
معه في ذلك ، أو مسالته ،

ولهذا لما كانت عبادة المسمين المشروعة في المساجد التي هي
بيوت الله ، كان عمّار المساجد أمد من الأحوال الشيطانية ، وكان
أهل الشرك والبدع معظّمون القبور ومشاهد الموتى ، فيدعون الميت أو
يدعون به ، أو يتقدّون أن للدعاء عنده مستجاب ، أقرب إلى الأحوال
الشيطانية ، فانه ثبت في « الصحيحين » عن النبي ﷺ أنه قال : « لمن
الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد »

وثبت في « صحيح مسلم » عنه أنه قال قيل أن يموت بحس
لبال . « إن أمن الناس علي في صحنه وذات يده أبو بكر ، ولو
كنت متخذاً خليلاً من أهل لأرض لاتخذت ماكر خليلاً ،
ولكن صاحبكم خليل الله ، لا يقين في المسجد حوكة إلا سدت ، إلا

حوخة أبي بكر، إن من كان قدكم تتخذون القبور مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك»

وفي «الصحيح» عنه أنه ذكر له في مرضه كيسة بأرض الحبشة، وذكروا من حسنها ونصاوير فيها، فقال: «إن أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بوا على قبره مسجداً وصوروا فيها تلك النصاوير، أولئك شرار المخلوق عند الله يوم القيامة»

وفي «المسند» و«صحيح أبي حاتم»^(١) عنه ﷺ قال: «إن من شرار المخلوق من تذكركم الساعة وهم أحياء، والذين اتخذوا القبور مساجد».

وفي «الصحيح» عنه ﷺ أنه قال: «لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها».

وفي «الموطأ» عنه ﷺ أنه قال: «اللهم لا تحمل قبري وثناً يُعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»
وفي «السنن» عنه ﷺ أنه قال: «لا تتخذوا قبري عيداً، وصلوا عليّ حينما كنتم، فإن صلاتكم تبلغني»

(١) وهو المرووف به صحيح ابن حبان

وقال ﷺ : « ما من رجل يسه عليّ إلا ردّ الله عليّ روحي حتى أردّ عليه السلام » (١).

وقال ﷺ : « إن الله وكلّ مقبري ملائكة يبذلوني من أمّتي السلام ».

وقال ﷺ : « أكثرُوا عليّ من الصلاة يوم الجمعة وليلة الجمعة، فإنّ صلاتكم مروضة عليّ » قالوا : يا رسول الله ! كيف نرض صلاتنا عليك وقد أُرمت - نقولون - ليت - فقال : « إن الله حرّم عليّ الأرض أن تأكل لحوم الأنبياء » (٢).

وقد قال الله تعالى في كتابه عن المشركين من قوم نوح عليه السلام : (وقالوا لا تذرنا آلهتكم ولا نذرنا ودّاً ولا سواعاً ولا يعوث وبعوث ودرأ) (٣)، قال ابن عباس وغيره من السلف : هؤلاء قوم كانوا صالحين من قوم نوح، فلما ماتوا عكّهموا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم لعبادتهم، فكان هذا مبدأ عبادة الأوثان.

(١) أخرجه أبو داود بإسناد صحيح كما قال النووي

(٢) أخرجه أبو داود بإسناد صحيح كما قال النووي .

(٣) - سورة نوح ، الآية ٢٣ .

فهو النبي ﷺ عن اتحاد القصور مساجد ليسد باب الشرك كما هي عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقت غروبها ، لأن المشركين يسجدون للشمس حينئذ ، والشيطان يقرأ بها^(١) وقت الطلوع ووقت الغروب ، فتكون في الصلاة حينئذ مشاهة لصلاة المشركين ، فسد هذا الباب والشيطان يصل نبي آدم بحسب قدرته ، فمن عمد الشمس والقمر والكواكب ودعاها كما يعمل أهل دعوة الكواكب ، فإنه يرسل عليه شيطان نخاضه ويحدثه بعض الأمور ، ويسمى ذلك روحانية الكواكب ، وهو شيطان ، والشيطان وإن أعان الإنسان على بعض مقاصده ، فإنه يضربه أضرب ما يبعده ، وعاقبة من أطاعه إلى شر ، إلا أن يتوب الله عليه

وكذلك عبادة الأصنام قد تحطهم الشياطين ، وكذلك من استغاث بعبث أو عائب ، وكذلك من دعا لميت أو دعا له ، أو طن أن الدعاء عند قبره أفضل منه في البيوت والمساجد ، وروون حديثاً هو كذب باتفاق أهل المعرفة وهو : إذا أعينكم المعرفة فمابكم بأصحاب القبور . وإنما هذا وضع من فتح باب الشرك

(١) قال ﷺ : لا تحروا صلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها ، فإنها تطعن بين قري شيطان . أخرجه مسلم .

ويوجد لأهل البدع وأهل الشرك المتشبهين بهم من عبادة الأصنام والنصارى والفضائل من المسلمين أحوال عند لمشاهد يظنونها كرامات وهي من الشياطين، مثل أن يضعوا سراويل عبد القبر فيجدونه قد اسقوا، أو يوضع عنده مصروع فيرون شيطانه قد فارقه، يفعل الشيطان هذا لبصائهم، وإذا قرئت آية الكرسي هناك تصدق بطلان هذا، فإن التوحيد يطرد الشيطان ولهذا أهل معهم في الهواء فقال: لا إله إلا الله، فسقط، ومثل أن يرى أحدهم أن القبر قد انشق وخرج منه إنسان فيظنه الميت وهو شيطان

وهذا باب واسع لا ينسع له هذا الموضع

ولما كان هذا الانقضاء إلى إمارات والوادي من البدع التي لم يشرعها الله ولا رسوله، صارت الشياطين كثير ما تأوي إمارات والحمل، مثل مغارة الدم التي تحمل قايون، وجبل لبنان الذي ساحل الشام، وجبل الفتح بأسوان عصر، وحمل بالروم وحراسان، وجبال الحزيرة، وغير ذلك، وجبل الاسكاف، وجبل الأحيش، وحمل سولان قرب ردييل، وجبل شهابك عند تبريز، وجبل ماشكو عند أقشوان، وجبل نهاوند، وغير ذلك من الحمال التي يظن بعض الناس أن بها رجالاً من الصالحين من الإنس، ويسمونهم رجال الغيب، وإنما هناك رجال من الجن، فالجن رجال، كما أن الإنس رجال، قال تعالى:

(وأنه كان رجال من الإيس يهودون رجال من الجن فزادهم
رهقاً) (١).

ومن هؤلاء من يظهر بصورة رجل شعرائي، جلده يشبه جلد
الماعز، فيظن من لا يعرفه أنه إيسي، وإعما هو جني ويقال لكل
حبل من هذه الحبال الأرسون الأبدال وهؤلاء الذين يظن أنهم
الأبدال هم جن هذه الحبال، كما يعرف ذلك بطرق متعددة

وهذه ما لا يتسع هذا الموضع لسطه، وذكر ما سرفه من
ذلك، فإنما قد رأينا وصفا من ذلك ما يطول وصفه في هذا المختصر
الذي كتب لمن سأل أن يذكر له من الكلام على أولياء الله تعالى
ما يعرف به جهل ذلك

والناس في خوارق العادات على ثلاثة أقسام: قسم يكذب
وحد ذلك تغير الأنبياء، ورعا صدق به مجللاً، وكذب ما يذكر له
عن كثير من الناس، لكونه عنده ليس من الأولياء ومهم من
يظن أن كل ما كان له نوع من خرق العادة كان ولياً لله وحكلاً
الأميرين خطأ ولهذا تجد أن هؤلاء يذكرون أن المشركين وأهل
الكتاب نصراً يعينونهم على قتال المسلمين، وأنهم من أولياء الله
وأوائك يكذبون أن يكون معهم من له خرق عادة، والصواب القول

الثالث، وهو أن معهم من ينصرهم من جسدكم، لأن أولياء الله عز وجل، كما قال الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى بعضهم أولياء بعض ومن بنوا لهم مسكراً فانه منهم) ^(١)

وهؤلاء العبيد والزهاد الذين ليسوا من أولياء الله المقربين المتبعين للكتاب والسنة، تقترب بهم الشياطين، فيكون لأحدهم من الخوارق ما يناسب حاله، لكن خوارق هؤلاء بمرض مضاعف، وإذا حصل من له تمكن من أولياء الله تعالى أنطما عليهم، ولا بد أن يكون في أحدهم من الكذب جهلاً أو عمداً، ومن الأثم ما يناسب حال الشياطين المقترنة بهم ليهرق الله بذلك بين أوليائه المنقيين، وبين المتشبهين بهم من أولياء الشياطين قال الله تعالى (هل أشكم على من نزل الشياطين؟ نزل على كل أفك أنيم) ^(٢) والافك: الكذب والائيم: الفاجر ومن أعظم ما يقوي الأحوال الشيطانية: صماع الفناء والملاهي وهو صماع المشركين قال الله تعالى (وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية) ^(٣)

قال ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم وعبرهما من السلف:

(١) سورة المائدة، الآية: ٥١ (٢) - سورة الشعراء، الآيات: ٢٢٢، ٢٢٣

(٣) سورة الانفال، الآية: ٢٥

التصدية : التصفيق باليد ، والمكاء مثل الصغير . وكان المشركون
يتخذون هذا عبادة .

وأما النبي ﷺ وأصحابه فمصدقهم ما أمر الله به من الصلاة
والقراءة والذكر ونحو ذلك ، ولا اجتماعات الشرعية ، ولم يجمع النبي
ﷺ وأصحابه على اسماء عامة ، لا بكف ، ولا بدف ، ولا تواجد ،
ولا سقطت رذته ، بل كل ذلك كذب بانفاق أهل العلم محدثه

وكان أصحاب النبي ﷺ إذا اختلفوا أمروا واحدا منهم أن
يقرأ ، والباقيون يستمعون ، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول
لأنبي موسى الأشعري : ذكركم نارنا ، فيقرأ وهم يستمعون ، ومرو
النبي ﷺ بأنبي موسى الأشعري وهو يقرأ فقال له : مررت بك
البارحة وأنت تقرأ ، فجعلت أستمع لقراءتك فقال لو علمت أنك تستمع
لخبرته لك تحبيراً^(١) ، أي لحسنه لك تحسيناً ، كما قال النبي ﷺ : « زينوا
القرآن بأصواتكم »^(٢) وقال ﷺ : « الله شادأنا - أي استماعاً - إلى الرجل
الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القية إلى قبته »^(٣) ، وقال ﷺ
لأن مسعود : « اقرأ علي القرآن » فقال : أقرأ عليك وعليك أنزل ؟

(١) متفق عليه .

(٢) رواه أبو داود ، والترمذي ، والحاكم ، وسنده صحيح

(٣) أخرجه ابن ماجة وابن حبان ، والحاكم ، قال في الزوائد : إسناده حسن .

فقال : « إني أحب أن أسمعه من غيري » فقرأت عليه سورة (النساء) ،
حتى انتهت إلى هذه الآية (فكيف إذا حثنا من كل أمة شهيداً وحثنا
إليك على هؤلاء شهداء)^(١) قال « حسبك » « قد عيناك نذرناك من الكاء
ومثل هذا السماع ، هو سماع الدين وأنصاعهم ، كما ذكر الله ذلك
في القرآن فقال (أو أراك للذي أسلم الله عليهم من الدين من ذرية آدم
ومن حملا مع روح ومن ذرية إبراهيم وإسماعيل ومن هدينا واخترنا
إذا أتت عليهم آيات الرحمن حرثوا سعداً وسكناً)^(٢)

وقال في أهل المعرفة (وإذا سمعوا ما أُرسل إلى لرسول نرى
أعينهم نفيض من الدمع بما عرفوا من الحق)^(٣)

ومدح سبحانه أهل هذا السماع بما تحصل لهم من رزاقه الإيمان ،
واقشعار الخلد ، ودمع العين ، فقال تعالى . (لله رُسلٌ أحسن الحديث
كُنَّا نَمُشُّ مَشَاهِدَ مِثَالِي تَقْشَعْرُقُ مِنْهُ جُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ يَلْقَئُ
بِجُلُودِهِمْ وَلَوْ لَهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ)^(٤) وقال تعالى (إنا المؤمنون الذين
إذ ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى
رؤسهم ينوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أو أراك
المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم وهم همزة ودرق كريم)^(٥)

(١) سورة النساء ، الآية ١١ (٢) سورة مريم ، الآية ٥٨

(٣) سورة المائدة ، الآية ٨٣ (٤) سورة الرمر ، الآية : ٢٣

(٥) سورة الانعام ، الآية : ٤-٤

وأما السباع لمحدث ؛ سماع الكف والدف والقصب ، فلم تكن الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر الأَكابر من أئمة الدين ، يحملون هذا طريقاً إلى الله تبارك وتعالى ، ولا يبدونه من القرب والطاعات ، بل يبدونه من البدع المذمومة ؛ حتى قال الشافعي : حدثت بينفاد شيئاً أحدثته الزنادقة ، يسمونه التغير ، يصدون به الناس عن القرآن وأولياء الله العارفين بمرفون ذلك ، ويعلمون أن للشيطان فيه نصيباً واهراً . ولهذا تاب منه خيار من حضره منهم

ومن كان أبعد عن المعرفة وعن كمال ولاية الله ، كان نصيب الشيطان فيه أكثر ، وهو بمنزلة الخمر ، [بل هو] يؤثر في النفوس أعظم من تأثير الخمر ، ولهذا إذا قويت سكرة أهله ؛ زلت عليهم الشياطين ، ونكلمت على السنة مضهم ، وحات مضهم في الهواء ، وقد تحصل عداوة بينهم ، كما تحصل بين شراب الخمر ، فتكون شياطين أحدم أموى من شياطين الآخر فيقلوبه . ويظن الجهال أن هذا من كرامات أولياء الله المتقين ، وإنما هذا مبعد لصاحبه عن الله ، وهو لمن أحوال الشياطين ، فإن قتل المسلم لا يحل إلا بما حله الله ، فكيف يكون قتل المصوم بما يكرم الله به أوليائه ؛ وإغاغبة الكرامة لزوم لاستقامة فم يكرم الله عبداً بمثل أن يعينه على ما يحبه ويرصاه ، ويريده مما يقربه إليه ، ويرفع به درجته

وذاك ر الخوارق منها ما هو من جنس العلم ، كما : كاشفات ،
ومنها ما هو من جنس القدرة والمالك ، كانتصرقات الخارقة للعادات ،
ومنها ما هو من جنس النفي ، من جنس ما يعطاه الناس في الظاهر ،
من العلم ، والسلطان ، والمالك ، والنفي

وجميع ما يؤتيه الله لعدوه من هذه الأمور ، إن استعان به على
ما يحبه الله ويرضاه ، ويقره إليه ، ويرفع درجته ، ويؤمره الله به ورسوله ،
ازداد بذلك رفعة ورفاً إلى الله ورسوله ، وعلت درجته وإن استعان
به على ما نهى الله عنه ورسوله ، كالشرك والظلم ، والعواش ، استحق
بذلك القم والعقاب ، فإن لم تدر كره الله تعالى توبة أو حسنة ماحقة ،
وإلا كانت كآمنته من المدين ، ولهذا كثيراً ما عاقب أصحاب
الخوارق ، نارة نسلها ، كما يزل الملك عن ملكه ، ويسلب العالم علمه ،
ونارة نسل التطوعات ، فينقل من الولاية الخاصة إلى العامة ، ونارة
ينزل إلى درجة العساق ، ونارة يرتد عن الإسلام ، وهذا يكون فيمن
له حوارق شيطانية ، فإن كثيراً ممن هؤلاء يرتد عن الإسلام ، وكثيراً
منهم لا يعرف أن هذه شيطانية ، بل يظنها من كرامات أولياء الله ،
ويظن من يظن منهم أن الله عز وجل ، إذا أعطى عبداً خرق مادة لم
يحاسبه على ذلك ، كمن يظن أن الله إذا أعطى عبداً ملكاً ومالاً
ونصرفاً ؛ لم يحاسبه عليه ، ومنهم من يستعين بالخوارق على أمور مباحة

لا مأمورها ولا منهي عنها ، فهذا يكون من عموم الأولياء ، وهم
الأررار المقتصدون ، وأما الساقون المقرّون فأعلى من هؤلاء ، كما أن
العبد الرسول أعلى من النبي الملك

ولما كانت الخوارق كثيرأما ينقص بها درجة الرجل ، كانت
كثير من الصالحين يتوب من مثل ذلك ، ويستغفر الله تعالى ، كما يتوب
من اللغو ، كالزنا ، والسرقة ، وتعرض على بعضهم فيسأل الله زوالها ،
وكلهم يأمر المرید السالك أن لا يقف عندها ، ولا يحملها حمة ، ولا
يتنصع لها ، مع ظنهم أنها كرامات ، فكيف إذا كانت بالحقيقة من
الشياطين تمويهها ، إلهي أعرف من تحاطه السمات عما فيها من
المنازع ، وإعنا بحاطه لشيطان الذي دخل فيها ، وأعرف من يحاط بهم
الحجر والشجر ، وتقول : هنيئاً لك يا ولي الله ، فيقرأ آية الكرسي ،
فيذهب ذلك ، وأعرف من يقصد صيد الطير ، فتحاطبه المصافير
وغيرها ، وتقول : حدني حتى يأكلني العقراء ، ويكون الشيطان قد
دخل فيها ، كما يدخل في الإيس ، ويحاطبه بذلك ، ومنهم من يكون في
البيت وهو منفلق ، فيرى نفسه خارجة وهو لم يفتح ، والمعكس ،
وكذلك في أبواب المدينة وتكون الحن قد أدخلته وأخرجته بسرعة ،
أو نربه أنواراً ، ونحضر عنده من طلائع ، ويكون ذلك من الشياطين

يتصورون بصورة صاحبه ، فاد قر آبه الكرسي صرة بعد صرة ، ذهب
ذلك كله

واصرف من يحطه بخط ونقول له انا من امر الله ، ويمده
بأنه المهدي الذي بشره الذي ^{مسيح} ، ويظهر له الخوارق ، مثل أن
يخطر بقله تصرف في الطير والجراد في الهواء ، فاد حطر بقله دهاب
الطير والجراد بينا وشمالا ، ذهب حيث أراد ، واد حطر بقله قيام
بعض المواشي ، أو نومه ، أو دهاهه ، حصل له ما أراد من غير حركة منه
في الظاهر ، وتحمله إلى مكة ، ونأتي به ، ونأنيه بأشخاص في صورة
جميلة ، ونقول له هذه الملائكة الكروبيون أرادوا ربارتك ، فيقول
في نفسه : كيف تصورا بصورة المردن ، فيرفع رأسه فيجدم يحيى ،
ويقول له : علامة ألك أنت المهدي ألك نثبت في حسدك شامة ، فنثبت
وبراها ، وغير ذلك ، وكله من مكر الشيطان

وهذا باب واسع ، لو ذكرت ما أعرف منه لاحتاح إلى محلد كبير
وقد قال تعالى : (فأما لاسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه وشمه فيقول
ربي أكرم من وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهان)^(١)
قال الله تبارك وتعالى : (كلا) ولعلط (كلا) فيها زجر ونبيه ، زجر

عن مثل هذا القول ، وتنبه على ما يخبر به ، وتوهم به ، وندمه ؛ وذلك
أنه ليس كل من حصل له نعم ديوية نعمة كرامة ، يكون الله عز
وجل مكرماً له بها ، ولا كل من نذر عليه ذلك يكون مهيناً له بذلك ،
بل هو سبحانه يتلى عبده بالسراء والصراء ، فقد يبطي العم لديوية
لمن لا يحبه ، ولا هو كريم عبده ، ليستدرجه بذلك ، وقد يحمي منها
من يحبه ويواليه ، لئلا ينقص بذلك مرتبته عبده ، أو يقع بسببها فيما
يكرهه منه

وأيضاً كرامات الأولياء لا بد أن يكون سببها الإيمان والتقوى ،
فإذا كان سببه الكفر والمنسوق والمصيان ، فهو من خوارق أَعْدَاءِ الله
لا من كرامات أولياء الله ، فمن كانت خوارفه لا تحصل بالصلاة ،
والقراءة ، والذكر ، وقيام الليل ، والدعاء ، وإنما تحصل عند الشرك ،
مثل دعاء الميت ، والعائب ، أو ما هسق والمصيان وأكل المحرمات ،
كالحيات ، والزناير ، والخامس ، والدم ، وغيره من النجاسات ، ومثل
العناء ، والرئس ، لا سيما مع الدسوة الأجانب والمردان ، وحالة خوارقه
تنقص عند سماع القرآن ، وتقوى عند سماع مزمار الشيطان ، فيرقت
ليلاً طويلاً ، فإذا جاءت الصلاة صلتى قاعداً ، أو ينقر الصلاة نقر
الدبك ، وهو يعض سماع القرآن ، ويمرعه ، ويتكلمه ، ليس له فيه

محبة ولا ذوق ولا لذة عند وجوده ، ويجب صماع المكاء والتصدية^(١)
 ويجد عنده مواجيد فهذه أحوال شيطانية ، وهو ممن يتناوله قوله
 تعالى : (ومن يشق عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له
 قرين)^(٢) .

فالقرآن هو ذكر الرحمن ، قال تعالى (ومن أعرض عن
 ذكرى فإن له معيشة صكا ومحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم
 حشرني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا وسيتها
 وكذلك اليوم تنسى)^(٣) يعني تركت العمل بها

قال ابن عباس رضي الله عنهما تكفل الله لمن قرأ كتابه وعمل
 بما فيه ، أن لا يضل في الدنيا ، ولا يشقى في الآخرة ، ثم قرأ هذه
 الآية .

فصل

ومما يجب أن يعلم أن الله سمى محمداً ﷺ إلى جميع الاس والحن ،
 فلم يبق إسم ولا جنس إلا وجب عليه الإيمان بمحمد ﷺ واتباعه ،

(١) المكاء : الصغير . والتصدية : التصفيق

(٢) سورة الزخرف ، الآية : ٣٦

(٣) سورة طه ، الآيات : ١٢٤ - ١٢٦

فعلية أن يصدق فيها خبر ، ويطيعه فيها أمر . ومن قامت عليه الحجة
برسالته فلم يؤمن به ، فهو كافر ، سواء كان إسيياً أو حنياً

ومحمد ﷺ مبعوث إلى التقدير بمافاق المسلمين ، وقد استنمت

الحق القرآن ، وواثوا إلى قومهم مدرس لما كان الذي ﷺ يصلي
بأصحابه بطن محلة لا رجوع من الطائف ، وأخبره الله بذلك في القرآن
بقوله : (وإذ صرفنا إليك نفراً من آلحن يستمعون القرآن فلما
حضروه قالوا نعتوهم فماتوا) وواثوا إلى قومهم مدرس فلو اياهم منا
إنا سمعنا كنائناً أرسل من بعد موسى مصداً لما بين يديه يهدي إلى الحق
وإلى طريق مستقيم يا قومنا أحبوا داعي الله وآمنوا به بغفرانكم
من ذنوبكم ويحرركم من عبد الله ومن لا يحب داعي الله فليس
بمجر في الأرض وليس له من دونه أولياء أو تلك في صلال من)^(١)
وأرسل الله تعالى بعد ذلك (قل أوحى إلي أنه استمع لله من الحرف
فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجواً . يهدي إلى الرشاد فأما به ولن يشرك ربها
أحد) وأنه تعالى جدُّ رسالنا محمد صاحبها ولا ولداً وأنه كان يقول
سفينة على الله شططاً . وأنا ظناً أن ان تقول الانس والحن على الله
كذباً وأنه كان رجال من الانس يعبدون رجال من الحن فزادهم
رهقاً)^(٢) أي السفيه ما في ظهر قولي العلماء

(١) سورة الاحقاف ، الآيات ٢٩-٣٢ (٢) سورة الحن ، آيات : ١-٦

وقال غير واحد من السلف كان الرجل من الانس إذا رل
 بالوادي قال أعود بمصم هذا لوادي من شر سمها فومه ، فلما
 استماتت الانس و الحس . ازدادت الحس طغياناً وكهراً ، كما قال تعالى .
 (وأنه كان رجال من الانس يعبدون رجال من الجن فرادوم رهقاً .
 وأنهم ضلوا كما طعنتم أن ان يبعث الله أحداً و إنما لمس السها فوجدناها
 مشنت حرمساً شديداً وشهاً)^(١) وكانت الشياطين ترمي بالشهب قبل أن
 ينزل القرآن . لكن كانوا أحياناً يسترقون السمع قبل أن يصل الشهاب
 إلى أحدهم ، فلما بعث محمد ﷺ ملئت السماء حرمساً شديداً وشهاً ،
 وصارت الشهب مرصدة لهم قبل أن يسلموا ، كما قالوا : (وأنا كما
 بقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً)^(٢) وقال
 تعالى في الآية الأخرى (وما ندرت به الشياطين وما ينبغي لهم
 وما يستطيعون إنهم عن السمع لمرولون)^(٣) قالوا : (وأنا لا ندري
 أشر أريد من في الأرض أم أرادهم وهم رشد) وأما الصالحون
 ومنا دون ذلك كما طرائق قدس)^(٤) أي على مذهب شتى ، كما قال
 العلماء منهم : المسلم والمشرک ، واليهودي والنصراني ، والسي والبدهي

(١) سورة الحن ، الآيات : ٦-٧ (٢) سورة الحن ، الآية ٩

(٣) سورة اشعر ، الآيات : ٣١٠-٣١٢

(٤) سورة الحن ، الآيات : ١٠-١١

(وأما ظننا أن إن سجز الله في الأرض ولن سجزه هرباً) ^(١) أخبروا
أهم لا يسجزوه ؛ لا إن أقاموا في الأرض ولا إن هربوا منه ؛ (وأما
لما سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً وأما
منا المسلمون ومنا القاسطون) ^(٢) أي الظالمون

يقال : أقسط إذا عدل ، وقسط : إذا جار وعلم (فمن أسلم
فاوثقك تحمراً ورشداً) وأما القاسطون فكانوا لهم خطيئة وأن
لو استقاموا على الطريقة لأسقيهم ماء غدقاً ليقنعهم فيه ومن يمرض
من ذكر ربه يسلكه عذاباً صعباً وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله
أحدًا وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبداً قل إنما
أدعو ربي ولا أشرك به أحدًا قل إني لا أملك لكم ضرراً ولا رشداً .
قل إني لن بحير في من الله أحد ولي أجدر من دونه ملتجئاً) ^(٣) أي ملجأً
ومعاداً (إلا بلاغاً من الله ورسالته ومن يصد الله ورسوله فإن له نار
جهم خالدين فيها أبداً . حتى إذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف
ناصر وأقل عدداً) ^(٤)

ثم لما سمعت الحن القرآن أتوا إلى النبي ﷺ وآمنوا به ، وهم جن

(١) سورة الحن : الآية : ١٢ (٢) سورة الحن ، الآيات : ١٤ ، ١٣

(٣) سورة الحن ، الآيات : ١٤ - ٢٢ (٤) سورة الحن ، الآيات : ٢٣ - ٢٤

يصيبين ، كما كنت ذلك في «الصحيح من حديث ابن مسعود وروي أنه قرأ عليهم سورة الرحمن وكان إذا قال (فأي آلاء ربكم أنكدان) (١) قالوا : ولا شيء من آلائك ربنا تكذب ، تلك لحد (٢)

ولما اجتمعوا بالي ﷺ سألوه لراد لهم ولدواهم ، فقال «لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه تحذروه أوهر ما يكون لحماً ، وكل مرة علف لدواكم » قال النبي ﷺ « فلا تستجروا بها فانيها راد إخوانكم من الحن » (٣) وهذا النبي ثابت عنه من وجوه متعددة ، وبذلك احتج العلماء على النهي عن الاستجاء بذلك ، وقالوا : فاذ مع من الاستجاء بما للجن ولدواهم ، فاعد الأئس ولدواهم من الطعام والصف أولى وأحرى .

ومحمد ﷺ أرسل إلى جميع الاس والحن ، وهذا أعظم قدراً عند الله تعالى من كون الحن سحرراً لسليمان عليه السلام ، فاهم سحرراً له يتصرف فيهم بحكم الملك ، ومحمد ﷺ أرسل اليهم بأمرهم بما أمر الله به ورسوله ، لأنه عبد الله ورسوله ، ومرة المبد الرسول فوق منزلة النبي امك

(١) سورة الرحمن ، الآية : ١٣

(٢) أخرجه ابن جرير ، ورجال إسناده ثقات .

(٣) أخرجه أحمد ومسلم عن ابن مسعود .

وكفار الحن يدخلون النار بالنص والإجماع ، وأما مؤمنوم ،
فمحمود العلماء على أنهم يدخلون الجنة ، وجمهور العلماء على أن الرسل
من الانس ، ولم يمت من الحن رسول ، لكن منهم الدُّر ، وهذه المسائل
لبسطها موضع آخر .

والمقصود هنا أن الحن مع الانس على أنحول فمن كان من
الانس يأمر الحن بما أمر الله به ورسوله من عبادة الله وحده وطاعة
نبيه ، ويأمر الانس بذلك فهدا من أفضل أولياء الله تعالى ، وهو في
ذلك من حقاء الرسول ﷺ ووايه ، ومن كان يستعمل الحن في
أمر مباحة له ، فهو كمن استعمل الانس في أمور مباحة له ، وهذا
كان بأمرهم عما يجب عليهم ، وإنهم مما حرم عليهم ، ويستعملهم في
مباحات له ، فيكون منزلة الملوك الذين يفعلون مثل ذلك .

هذا إذا قدر أنه من أولياء الله تعالى ، فعاقبه أن يكون في صوم
أولياء الله تعالى ، مثل النبي الملك مع الصد الرسول ، كسليمان ويوسف
مع إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .
ومن كان يستعمل الحن فيما ينهى الله عنه ورسوله ، وإما في الشرك ،
وإما في قتل معصوم الدم ، أو في المدوان عليهم بغير القتل ، كتمريره
وإسائه العلم ، وغير ذلك ؛ وإما في فاحشة ، كجلب من يطلب فيه

الفاحشة ، فهذا قد استعان بهم على الإثم والعدوان ، ثم إن استعان بهم على الكفر فهو كافر ، وإن استعان بهم على المداصي فهو عاصي ، وإما فاسق ، وإما مذهب غير فاسق .

وإن لم يكن نام العلم بأشربة فاستعان بهم فيما يظن أنه من الكرامات ، مثل أن يستعين بهم على الحج ، أو أن يطبخوا به ضد السماع البدعي ، أو أن يحملوه إلى عرفات ولا يحج الحج الشرعي الذي أمر الله به ورسوله ، وأن يحملوه من مدينة إلى مدينة ، ونحو ذلك ، فهذا مغرور قد مكروا به .

وكثير من هؤلاء قد لا يعرف أن ذلك من الخن ؛ بل قد سمع أن أولياء الله لهم كرامات خوارق للعادات ، وليس عندهم من حقائق الإيمان ومعرفة القرآن ما يفرق به بين العكرامات الرحاية ، وبين التلبسات الشيطانية ، فيمكرون به بحسب اعتقاده ، فإن كان مشركاً يصد الكواكب والأوثان ، أو هو أنه يقتنع تلك العبادة ، ويكون قصده الاستشعاع والتوسل بمن صور ذلك الصنم على صورته من ملك أو نبي أو شيخ صالح ، فيظن أنه بعد ذلك النبي أو الصالح ، وتكون عبادته في الحقيقة للشيطان ، قال الله تعالى (ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك

أنت وليتنا من دونهم ، بل كانوا يمدون الحنَّ كثيرٌ منهم مؤمنون ^(١) .
 ولهد كان الذين يسجدون للشمس والقمر والكواكب
 يقصدون السجود لها ، فيقدرونها الشيطان عند سجودهم ليكون سجودهم
 له . ولهذا يمثل الشيطان بصورة من يستغاث به لمشركون ، فإن
 كان نصرانياً واستغاث بمجرجس أو غيره ، جاء الشيطان في صورة
 مجرجس أو من يستغاث به . وإن كان منسباً إلى الاسلام واستغاث
 بشيخ يحسن الظن به من شيوخ المسلمين ، جاء في صورة ذلك الشيخ .
 وإن كان من مشركي الهند ، جاء في صورة من يعظمه ذلك المشرك
 ثم إن الشيخ المستغاث به ، إن كان ممن له خبرة بالشرعة لم يعرفه
 الشيطان أنه تمثل لأصحابه المستغاثين به ، وإن كان الشيخ ممن لا خبرة
 له ، أخرجه بأقوالهم ، ونقل أقوالهم له ، فيظن أولئك أن الشيخ سمع
 أصواتهم من العمد وأجابه ، وإعنا هو يتوسط الشيطان
 ولقد أخبر بعض الشيوخ الذين كانت قد جرى لهم مثل هذا
 بصورة مكاشفة ومحاطبة فقال : يربني الحن شيثاً برافاً مثل الماء والزجاج ،
 ويمثلون له فيه ما يطلب منه الإخبار به ، قال . فأخبر الناس به ،
 ويوصلون إلي كلام من استغاث في من أصحابي فأجيبه ، فيوصلون
 جواني إليه

وكان كثير من الشيوخ الذين حصل لهم كثير من هذه الخوارق - إذ كذب بها من لم يبرها وقال إنكم تعملون هذا الطريق الخيلة ، كما يدخل النار بحجر اطلق وقشور النارج ، ودهن الضمادع ، وغير ذلك من الحيل الطبيعية ، - ينسب هؤلاء المشايخ ويقولون : نحن والله لا نعرف شيئاً من هذه الحيل فلما ذكر لهم الخبير : إنكم لصادقون في ذلك ، ولكن هذه لأحوال شيطانية ، أقرؤا بذلك ، وتاب منهم من تاب الله عليه لما تنبى لهم الحق ، وتبى لهم من وجوه أسما من الشيطان ، ورأوا أنها من الشياطين ، لما رأوا أنها تحصل بمثل البدع المدعومة في الشرع وعند المعاصي لله ، فلا تحصل عندما يحبه الله ورسوله من العبادات الشرعية ، فعلموا أنها حينئذ من مخارق الشيطان لأوليائه لا من كرامات الرحمن لأوليائه

والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب ، وإليه المرجع والمآب ،

وصلى الله وسلم على محمد سيد رسله وأنبيائه ، وعلى آله

وصحبه وأنصاره وأشياعه وخلفائه ، صلاة

وسلاماً نستوجب بها شفاعته

آمين

نصه : سقط من التعليق رقم (٣) في الصفحة (٣١) من رسالة
المرفق هذه ما يلي :

وأخرج أحمد بن حنبل في « مسنده » عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما :
قال : كما عبد رسول الله ﷺ ، فذكر الناس فأكثر في ذكرها حتى
ذكر فنة الأجلاس . فقال قائل : يا رسول الله ! وما فنة الأجلاس ؟
قال : « هي فنة هرب وحرب ، ثم فنة السراء دخلها أو دخلها
من تحت قدني رجل من أهل بني يريم أنه مني وليس مني ، إنما
وليي المنقون »

قال أحمد شاكر في تعليقه عليه . إسناده صحيح

الموضوع	الصفحة
إيمان الحسن واقصا	٣٩
هوب الناس في الأخير	٤١
لا يكونون بوجوه مؤمنين	٣٢
لا يكونون في الحكم	٤٣
من يدعون إلى دينهم	٤٦
حقيق في اسم صوفية	٤٧
في قلوبهم	٤٨
في نواياهم	٤٩
قصصهم عن الله عز وجل	٥١
وحسبهم الله سبحانه وتعالى	٥٢
من عن السبع في الدين	٥٣
العتبة الأولى وودعها	٥٤
كله بحسب قدره	٥٥
الحمد لله رب العالمين	٥٦
الحمد لله في فضل عمر بن الخطاب رضي الله عنه	٥٨
الحمد لله العترة الطاهرة	٥٩
الحمد لله في ذكر أحمد بن محمد رضي الله عنه	٦٠
الحمد لله في ذكر تقوا الله حق قدره	٦٣
وحدت الإيمان بالله عز وجل	٦٤
الحمد لله في ذكر محمد بن علي	٦٧
الحمد لله في ذكر علي بن أبي طالب	٦٩
وحدت في الله العلي	٧٠
وحدت في الله العلي	٧٣
الحمد لله في ذكر الشريعة الإسلامية	٧٤

الموضوع	الصفحة
من الأنعام جميعا هو الاسلام	٧٦
فصل من الأول	٧٧
فصل من قوله محمد بن	٧٨
قوله من الأول، فصل من قوله	٨٠
محمد بن	٨١
فصل من قوله محمد بن	٨٣
قوله من قوله محمد بن	٨٤
قوله من قوله محمد بن	٨٥
قوله من قوله محمد بن	٨٦
قوله من قوله محمد بن	٨٨
قوله من قوله محمد بن	٨٩
قوله من قوله محمد بن	٩١
قوله من قوله محمد بن	٩٢
قوله من قوله محمد بن	٩٦
قوله من قوله محمد بن	٩٧
قوله من قوله محمد بن	٩٩
قوله من قوله محمد بن	١٠٠
قوله من قوله محمد بن	١٠١
قوله من قوله محمد بن	١٠٢
قوله من قوله محمد بن	١٠٣
قوله من قوله محمد بن	١٠٥
قوله من قوله محمد بن	١٠٧
قوله من قوله محمد بن	١٠٨

الموضوع	الصفحة
محنة عبد الله وعمره لا بد	١٠٩
الله في كل شيء	١١٠
الله في كل شيء	١١١
الله في كل شيء	١١٢
الله في كل شيء	١١٣
الله في كل شيء	١١٤
الله في كل شيء	١١٥
الله في كل شيء	١١٦
الله في كل شيء	١١٧
الله في كل شيء	١١٨
الله في كل شيء	١١٩
الله في كل شيء	١٢٠
الله في كل شيء	١٢١
الله في كل شيء	١٢٢
الله في كل شيء	١٢٣
الله في كل شيء	١٢٤
الله في كل شيء	١٢٥
الله في كل شيء	١٢٦
الله في كل شيء	١٢٧
الله في كل شيء	١٢٨
الله في كل شيء	١٢٩
الله في كل شيء	١٣٠
الله في كل شيء	١٣١
الله في كل شيء	١٣٢
الله في كل شيء	١٣٣
الله في كل شيء	١٣٤

الموضوع	الصفحة
مجمع الذي من و... و... و... و...	١٣٥
و... و... و... و... و... و...	١٣٩
بعض معجرات... و... و...	١٤٠
و... و... و... و... و...	١٤١
بعض ك... و... و... و...	١٤٥
ك... و... و... و...	١٤٦
ك... و... و... و...	١٤٩
و... و... و... و...	١٥٠
و... و... و... و...	١٥١
و... و... و... و...	١٥٢
و... و... و... و...	١٥٣
بعض و... و... و...	١٥٦
و... و... و... و...	١٥٩
و... و... و... و...	١٦٠
و... و... و... و...	١٦٢
و... و... و... و...	١٦٣
و... و... و... و...	١٦٤
و... و... و... و...	١٦٥
و... و... و... و...	١٦٦
و... و... و... و...	١٦٧
و... و... و... و...	١٦٨
و... و... و... و...	١٦٩

الموضوع	الصفحة
عن الكرامات على الله تعالى	١٧١
عن ربه محمد بن يحيى	١٧٢
أما في قوله	١٧٣
عن ربه محمد بن يحيى	١٧٤
عن ربه محمد بن يحيى	١٧٥
عن ربه محمد بن يحيى	١٧٦
عن ربه محمد بن يحيى	١٧٧
عن ربه محمد بن يحيى	١٧٨
عن ربه محمد بن يحيى	١٧٩



سَدْر حَيْت

فَضْلُ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

تأليف

الامام سمائل بن اسحاق القاضي

١٩٩ - ٢٨٢ هـ

مصحح

محمد ناصر الدين الألباني

المكتب الإسلامي

دار النشر



DUE DATE

SEP 30 1988

201-5503

Printed
in USA

893.79/2
1673

18467901

JUN 19 1967

COLUMBIA LIBRARY'S OFFSITE



CU58849106

893.7992 lb73

Furges, Henry, author